شيء من النقد

يوسف سمرين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يقال يكفي لتكذب أن تصدق في نصف الحقيقة ، فمن يقول عن جريمة بسلاح ناري : إن القاتل لم يفعل شيئاً إنما حرك سبابته صدق في هذه الجزئية إلا أنه يخفي فظاعة ما ارتبط بذلك التحريك ، وفي تعاملنا مع الأفكار والسياسات والجماعات الأمر شبيه بهذا ، فمن يقول مثلاً : إن القرامطة فرقة إسلامية لها تفسيرها الخاص بالنصوص ويكتفي بهذا ، يتجاوز كل ما ارتبط بتلك التفسيرات من لوازم أدت إلى فظائع .

ونحن اليوم أحوج ما نكون إلى مراجعة شاملة لكثير من أدبياتنا المتوارثة بشيء من التحليل النقدي بعدما دفعت الوقائع بكثير من النماذج الى التحطم ، ولا يحتاج الأمر إلى كبير ذكاء للتنبؤ بكثير من شبيهاتها ، على أني لم اكن حريصاً على تسويد هذه الصفحات .. إلا أنني رجحت جانب الكتابة لدواعٍ عديدة أهمها أنني لم أجد من لامس مضامين هذه السطور وإن كان قد فعل في شق فأراه قد أغفل النصفَ اللازم له ويكفي هذا لتشويه النقد الذي يحمل في أحشائه تأسيساً .

ولست مغرماً بالمعارضة لذاتها إلا أن الأمر استفحل ، وطالما بقي النقد على حياء فان الأخطاء لا تعرف الحياء ، وموجات زلازلها تصيب الجميع ، فان كنا في هذا العصر الذي تحرق فيه العولمة كثيراً من جيوب الخصوصيات فكيف إن كان الخطر داهماً ويطال الجميع ؟

وأردت في هذه السطور أن أكون محاوراً لا مدرّساً ، هامساً لا صارخاً ، لذا لم أر حاجة لسلطة الاقتباسات الموثقة في نقلي بالطبعة وسنة النشر ورقم الصفحة ، فذلك جهد أدخره لجهد آخر أعكف عليه وهو في نظرية ابن تيمية في المعرفة ، أما هنا فسأحاور مرتجلاً متحرياً أمانة النقل ، ويكفي المنصف أن يراجع ويتحقق بنفسه ولا أقول ليستر الخطأ متى عثر عليه بل لينقده متى قدر وعلم ، فذلك جود منه ومكسب لي ويكفي منه إحياء الحس النقدي عند قراءة شيء ، ليكون زميلاً مشاركاً ، لا مستمعاً إما أن يهز رأسه أو يرمي هذه الصفحات جانباً .

وإن عدم الهوس بالنقل دأب كثير من السابقين واللاحقين فتجد الجويني يهتم بالتحرير في كتابه (**الغياثي**) ليطلعك على عقله لا عقول غيره ، كذا ابن تيمية الذي قد تقرأ له كتباً كاملة لا يرهقك بالنقول ، بل تجد لمعان عقله بين السطور ، ولقد حرص فردريك هايك في كتابه الصغير (**الطريق إلى الرق**) على هذا فكان زميلاً للقارئ وهذا ما أحرص عليه هنا .

على أن التوثيق مهم ، لكن لكل مقام مقال وهذا مقام المحاورة سوياً وبث هموم قد تكون مشتركة بشيء من التفكير ، لا التأزم العاطفي ولا سلطة الاقتباسات فانت تحاور كاتباً واحداً ، ومع الاقتباسات الطويلة تضحي تحاور أشخاصاً بقدر المراجع **!** .

فلا مراجع هنا إنما هي سطور سأسعد باستمرارك في متابعتها ، وإن كنت ممن يحب كثرة النقول الموثقة ، وامتحان المحفوظات فلست مخاطباً بهذا إذن ، إنما يخاطب به من يفطن لوجود شيء فوق كتفيه ويسعى لإعماله **!** .

وسأحرص على الصراحة ليس استكثاراً للأعداء ، وانما هو قدح لزناد النقد فيك ، فكم من قارئ لمقولة "ما بال أقوام " لا يراها أبداً تعنيه ، ولو بقي أهل الحديث على نقدهم بالتعمية ما عرفنا الصحيح من الضعيف ، ومن يعادي لنقد طاله من كاتب مغمور فقد انتكست أولوياته ، أما يرى الجميع يتحدث في شأنه ؟ أم يتفهم

دراسات مراكز الابحاث الشرقية والغربية عنه دفاعاً عن مصالحها ، ويتمعر وجهه لنقد جار له متى جاء السيل يغمرهما سوياً ؟.

وكما أسلفت فحديثي ارتجالي ، فلا تدقق في ترتيب فصول وفواصل ليست في مكانها ، فذلك شأن المكتبية الجامعية إنما عليك بالمضامين ، ولست حريصاً على تقييم أحد للكاتب بالألمعية أو الجهل فلم يطالب هو بتقريظ ، إنما هو رجل قابلته أنت في الشارع ، فدار بينكما هذا الحوار ثم مضيتما كل منكما إلى طريق ، أو قلت لنمضي معاً في نفس الطريق ..

يوسف محمد سمرين

بين ضرورة التصنيف وخديعته

لما يفكر الإنسان لا يفكر في كل شيء معاً ، إنما يفكر في شيء بعينه ، هذا ما يقولون إنه "مبدأ الهوية" ، لذا يصنف الذهن الأشياء ليفكر فيها لكن التصنيف يفترض أن لا يكون مثل ترتيب المكتبة ، تضع كتباً في زاوية وأخرى في زاوية ، إذ الواقع مترابط ، فلا انفصال في الواقع مثلا بين التاريخ والجغرافيا ، إلا أننا ندرسها بشيء من الاستقلال لضرورة الترتيب والفهم والتركيز .

لكن متى بقينا محصورين في دائرة واحدة لن نفهم الواقع المترابط الذي يؤثر بعضه في بعض ، هذا التصنيف الذي هو ضرورة قد يكون خديعة أيضاً ، فأنت قد تلحق شيئاً في خانة ، ثم تعمم ما تعرفه عليه وعند التحقيق تجد أنه من خانة أخرى أو حتى بين الخانتين .

في أصول الفقه تحديداً في (**رسالة**) الشافعي يذكر هذا باسم قياس الشبه ، وحاصله أنه فرع تردد بين أصلين ، فنلحقه بالاشبه منهما .

ولكن ماذا لو كان الشبه قوياً ؟ إن الفرع هنا ياخذ شيئاً من حكم الأصلين كحديث : "احتجبي منه يا سودة" .

إلا أن التصنيف قد يوقع الإنسان في خديعة ، وذلك بالتزامه بطريقة صناعية يصنف فيها الأشياء ، ويكون في تصنيفه مخادعاً مثل اللعب على المشتركات اللفظية التي نطلقها على عدة أشياء بنفس اللفظ ومعانيها متباينة.

وللطريقة الصناعية هذه صور عدة المشتركات اللفظية مجرد مثال لها ، ومن أمثلتها الأغمض قليلاً : الحد الأرسطوطاليسي الذي يبين حقائق الأشياء بنظر أصحابه ، وفي الواقع لم يكن ليبين أكثر مما هو معلوم سلفاً ، إنما هو تفنن في العبارات ، والتي قد تفيد في تمييز الشيء عن غيره في جدال ومنازعة ونحو هذا ، لا في كشف شيء جديد بمجرد الصياغة لحد الشيء .

على أي حال يفترض أن يكون التصنيف منطلقاً من الواقع نفسه لا العكس ، أي ليس من ذهن الانسان وإلا سيحرص على إخضاع الكون لنمط تفكيره هو ، وبذا يفقد القدرة على أن يفهم العالم ويصر على إخضاعه لنظرته وبذا تقع الاشكالات .

من هذا المنطلق نفر فرانسيس بيكون من المنطق المدرسي ، وحرص على التجربة في الواقع نفسه لفهمه بدل المماحكات الجدلية التي تدور في منظومة تهتم بإفحام خصمها لا فهم الواقع كما هو .

فالتصنيف يأتي متاخراً عن دراسة الواقع بأكبر قدر ممكن ، أما أن يتم التصنيف ثم ينطلق إلى الواقع فعلى كلام بيكون سيرى الواقع يؤيده وبذا ينصح نصيحته الذهبية : ابحث عما يخالف نظرتك وإلا فسترى الوقائع كلها تعززها .

كان هذا تمهيداً لا بد منه لمشكلة خديعة التصنيف التي تعج بها الساحة العربية ويعجبني عنوان فصل عقده محمد جابر الانصاري في كتابه (**العرب والسياسة أين الخلل**) وهو : العرب بين التضخم الايدلوجي والبؤس المعرفي .

فالمواقف التي تتوزع بشكل تصنيفات يعقد عليها الولاء والبراء أكبر من المعرفة الواقعية بالأشياء التي تم تصنيفها ، على أن الصواب بأن تكون المواقف أقل من المعارف ، فأنت تتخذ موقفاً من الشيء بعد معرفته وكما يقول المناطقة : الحكم على الشيء فرع تصوره .

على هذا النحو وقع الخلط عند كثيرين بين اليسار بعمومه والماركسية بخصوصها ، فكل اشتراكي أضحى بنظرهم ملحداً ، وكل ماركسي يساري بالضرورة ، وهذا يتجاوز الواقع نفسه فلينين صنف كتاباً بعنوان : **(اليسارية مرض الشيوعية الطفولي)** .

وماو تسي تونج ذكر في مؤلفاته التي طبعت في 4 مجلدات بعنوان **(مؤلفات ماوتسي تونغ المختارة)** انتقاداته على اليساريين .

بل إن التصنيف قد يكون عائماً متضمناً تقيماً معيارياً لا يفسر شيئاً ، مثاله رد التويجري على الالباني كونه أجاز كشف الوجه للمرأة ، فكان رد التويجري بنظره على أهل السفور **!** في كتابه **(الصارم المشهور على أهل التبرج والسفور)**.

بل لو قيل كلما قلت المعارف زاد التصنيف ما بعدنا كثيراَ ، على أن هذا ليس حتمياً ، فالعلوم تزيد فيها تصنيفاتها بكثرة المعارف ، إلا أن شاهدنا هنا تصنيفات كثيرة لمضامين ضعيفة مثاله ما انهمك به معاصرون كالمقدسي بتصنيف فرق جديدة : كالجامية والمدخلية والحلبية ، وليست في الواقع سوى نسبة لعدة أشخاص ليس لهم كبير مقالات منفردة ، وبعضهم يقول الحدادية وهذه تصنيفات تشتت السامع وتبين ما هي مشحونة فيه من القيم المعيارية ، فلن يجدها في كتب الفرق ولا المقالات بل لن يجدها سوى عند من أطلقوها.

توحش التصنيفات يستشري دون ضابط لمّا تنفصل عن الأرضية المعرفية التي يفترض أن تكون واسعة ، على هذا النحو تجد وصف الليبرالية يلتهم اشخاصاً في السعودية مثلاً بمقالات تعد في غيرها أصولية متشددة وهذا أيضاً تصنيف .

وقبل فترة طالعت كتاباً وهو **(تهافت الأصولية الإسلامية)** لشاكر النابلسي لا تفهم من هم الأصوليون المقصودون في كلامه فعموم المصطلح دون أرضية معرفية ملائمة يجعل حديث الكتاب كأنه مع أنفسهم .

وكم ترى من مصنف لغيره أنه مثلاً من الحدادية والتي اكتشفت انها نسبة لرجل معاصر ، لا أعرف الكثير من أقواله والمصنف يصر على أن فلاناً منهم ولربما لم يسمع الرجل حتى باسم المذكور.

إن كثرة المصطلحات لها هدف مبطن ، وهو السلطة المعرفية فكأن القائل يقول : أعرف ما تقوله لدرجة أنني قد صنفته وفي الواقع فإن كثيراً من المصطلحات التصنيفية تحمل في أحشائها بؤساً معرفياً مقيتاً .

التصنيف ولبس نظارة تعمي

في تجربة الأسر جربت لأول مرة نظارة مطلية باللون الأسود تحجب تماماً عن الرؤية ، ليقودك السجان حيثما أراد دون أن تعرف مكان خطواتك ، والتصنيف قد يوصل صاحبه الى ما يشبه هذه النظارة ، مرة ذكرت جملة محمد جابر الأنصاري : العرب بين التضخم الايدلوجي والبؤس المعرفي ، فقال أحدهم هذا علماني لا يؤخذ منه .

لم أعرف ما الذي قصده بوصفه الرجل بهذا تحديداً فما هو العلماني ولا أتحدث هنا عن العلمانية بالضرورة كمصطلح مدرسي جامد .

هل تقصد أنه لا يثق باحكام الشريعة مثلاً ، أم لا يثق بقوم ينادون بتطبيقها ؟

هذا سؤال أساسي يفترض أنه تفعل لدرجة كبيرة بعد الثورة الايرانية 1979 ، فقبل تلك الثورة بأكثر من عقدين كانت المنطقة العربية تتصارع فيها عدة تيارات أهمها القوميون والإسلاميون ، فثورة 52 في مصر والتي رفعت برنامجا اشتراكياً ، كان الإخوان في مصر قد شاركوا فيها بدرجة ما ، ويطلعنا صلاح شادي في كتابه **(صفحات من التاريخ)** على أن عبد الناصر كان مع الإخوان قبلها ، وأنه اجتمع مع مرشد الإخوان وهو حسن الهضيبي حينها قبل حصولها ، واتفقوا على توزيع الاراضي وعدم إعلانها ثورة إسلامية حتى لا تكسب عداء العالم ثم انجر الخلاف فيما بعد إلى الصدام بين الإخوان وعبد الناصر والذي حل جماعتهم في 1954 م .

لكن صراع عبد الناصر لم يتوقف مع الإخوان فالصراع السياسي مع السعودية كان كبيراً ، وغلفه صراع أيدلوجي ولابن باز رسالة في حكم القومية ، واللافت أنه قبل الخلاف مع عبد الناصر كان مراقب الاخوان في سوريا مصطفى السباعي قد كتب كتابه : **(اشتراكية الإسلام)** .

ثم بعد الخلاف تجد اسم هذا الكتاب في كتاب **(معالم في الطريق)** لسيد قطب والذي لمع اسمه في فترة الخلاف مع عبد الناصر وهو كان كاتباً قبلها ، لكنه ليس بتلك الشهرة والمكانة بعد الخلاف الذي حصل ، وينتقد فيه الكتاب المذكور دون أن يسمي صاحبه وذلك أن الإسلام لا يلتقي في منتصف طريق مع الجاهلية فكيف يكون اشتراكية الإسلام وقد عرفت أن الاشتراكية جاهلية .

سيد قطب الذي ألف عدة كتابات كانت الإذاعة السعودية تبث كلامه فيها وترسل مستحقاته المالية إليه وهو في داخل السجن .

الإخوان فترتها حاولوا الاعتماد على السعودية في خلافهم مع عبد الناصر والسعودية حاولت استثمارهم أيضاً في صراعها معه ، لتصير كتاباتهم مشكّلة لجيل كبير من السعوديين خصوصاً بعد استقبال المملكة عددا منهم على أراضيها من مصر وسوريا أيضاً ، ولا يمكن إغفال دور السادات بإخراجهم من السجون ، والسماح لهم بالكتابة عن فترة سابقه عبد الناصر في سعيه ليحلوا مكان اليسار لسياسة "الانفتاح" فترة عبد الناصر وهو في الواقع ما حدث .

وتذكر زينب الغزالي أن من بين الكتب التي اعتمدت من المرشد لتثقيف الاخوان : **(كتاب التوحيد)** لمحمد بن عبد الوهاب .

على أي حال فالشعارات الاسلامية وقتها تدور حول الحاكمية والإسلام الذي يجب أن يعود للحكم ، وتذكر الغزالي في كتابها (**أيام من حياتي**) أنهم أجروا – أي لجنة من الإخوان - دراسة على العالم العربي ، ووجدوا أن الإسلام غائب تماماً عنه سوى السعودية على أخطاء فيها أيضاً ، وفي تلك الفترة تأسس حزب التحرير الذي سعى لاستئناف حياة إسلامية وإقامة الخلافة .

كانت الثورة الايرانية هزة كبيرة فرجل دين يعلن حكماً إسلامياً (الخميني) ، وينجح وتتعالى تهاني كثير من الإسلاميين لهذا مثل عبد الله عزام في كتابه (**السرطان الأحمر**) الذي رأى أن راية الإسلام قد ارتفعت فوق إيران .

ثم فجأة على تعبير الشقاقي في (**أعماله الكاملة**) اكتشفوا أنها شيعية ، وبدأ من يتراجع ومن يعادي ومن يتباطأ ، وممن ظل يدعو إلى التقارب يوسف القرضاوي وله نفوذ كبير في الاخوان فكتب كتابه (**مبادىء في الحوار والتقريب**) وذكر أنه زار ايران وشدد على وجوب تفهمهم ، وأن الخلافات معهم ليست كبيرة إلى أن تغير موقفه حديثاً ، وتكلم عن الشيعة وتم اكتشاف موضوع سب الصحابة وأنه كفر **!**.

الشاهد من هذا المسحة التاريخية أن مصطلح علماني كان يشمل أعداء وصول الخميني إلى الحكم ، ثم لما وصل تجد إسلامياً يعادي وصوله فيما بعد أن وصلته المعلومات متأخرة أو لربما تغيرت أمور غير المعلومات **!**.

فهذه الثورة يفترض أنها أحدثت أسئلة كثيرة من هو العلماني وما هو الاسلامي ؟ بدل البقاء على المصطلحات العائمة .

النظارة السوداء تماماً تستشري عندما يقال علماني ، رغم وجود خبرة وكتابات تسبق الإسلاميين في جوانب كثيرة ، فلا ننس التوجس من تعليم البنات عند كثير من المتدينين ، حتى ردد بعضهم :

مال النساء وللكتابة والرعاية والخطابة *** هذا لنا ولهن منا أن يبتن على جنابة **!**

فضلاً عن تحريم الطباعة ، ونقاشات حول كثير من الوافدات العصرية ، ولا يزال إلى اليوم من يفتي بتحريم الرواية لأنها كذب .

بل بعض الأفعال تصنف على عجل اليوم بأنها علمانية وغير أخلاقية ونحو هذا ، ثم يقولها قوم إسلاميون بعد هذا فتوصف بالتجديد والاجتهاد .

وهذا يعزز عدم ثقة قطاع من المجتمع بهم ، ولا أنكر وجود من يخالف الأحكام الشرعية أساساً بل يوجد الملحد ، ولكن المصطلح اليوم يخفي فاصلاً دقيقاً بين من لا يثق بالإسلام وبين من لا يثق بالمنادين بتحكيمه من الأحزاب والجماعات ، على اختلافاتهم في معنى الإسلام المقصود فمن منادٍ بالسبي "داعش" إلى من لا يرى تجريم المثلية الجنسية قانونياً "الغنوشي" تحت اسم إسلامي .

ولقد نصح أردوغان إخوان مصر أيام وصولهم السلطة بحذف مادة أن الإسلام دين الدولة ، فكان الموقف متفهماً إلى درجة كبيرة ، إلا أنه يخلط بين خصوصية تركيا وغيرها ، في حين أن نفس المطلب تقام له الدنيا ولا تقعد إن كان القائل من الخصوم السياسيين ، ولا يقال له أنه يخلط فقط بين خصوصية أوربا والعالم العربي **!**.

وتستشري النظارة بين جماعات كثيرة ، ومما يوقع في العجب أن كثيراً من الزملاء بل والدكاترة في كلية الدعوة التي درست فيها كانوا يتحدثون عن الشيعة إما رفضاً أو قبولاً دون أرضية معرفية حقيقية مع وجود كتب عديدة لهم في مكتبة الكلية أذكر منها كتبا للصدر ، ومغنية ، والطوسي وغيرها .

فتجد هذا يكفرهم وذلك يؤيد أنهم مذهب خامس دون أرضية صنعتها القراءة والمراجعة لهم لا عنهم .

ولا زلت أذكر كتاباً بعنوان (**إعانة المحتاج من كتاب المنهاج**) لشريف بن علي الراجحي جمع فيه كلاماً متناثراً لابن تيمية ووضع من كيسه أسئلة ، ثم اقتبس كلام ابن تيمية على أنه الجواب ، مثلاً ما حكم الرافضة : أكفر من اليهود وهكذا .

في كتيب صغير يحجب عن فهم كلام ابن تيمية الذي وقع في 9 مجلدات (**منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية**) ، ليجعل خاصه عاماً ، ومقيده مطلقاً **!** وكلامه في الاسماعيلية كلامه في الاثني عشرية.

ويترك ما يعارض كلامه مثل كلام ابن تيمية أن في الإمامية مؤمنون ظاهراً وباطناً **!** في نفس الكتاب .

ومن العجائب أيضاً أن بعض من انتسب إلى السلفية يحذر من قراءة كتب معينة بحجة وجود تأويل للصفات فيها ، ثم تقرأ في مراجع بحث له فتح الباري لابن حجر ، فهلا وسع الناس ما وسعك واكتفيت ببيان الخطأ الذي تراه .

من التصنيف الذي يعمي أيضاً إسقاط أسماء معارف سابقة على معارف عصرية مثلا كان للتويجري كتاب (**الصواعق الشديدة على أهل الهيئة الجديدة**) ، في حين أن هذا الاسم تاريخي لعلم الفلك قديماً الذي حفه سحر وشعوذات ويختلف تماماً عن علم الفلك المعاصر حتى يسميه بعلم الهيئة .

كذلك اعتبار الكيمياء القديمة نفس كيمياء العصر على هذا النحو انهمك السمهوري في كتابه (**نقد الخطاب السلفي**) في نقد ابن تيمية الذي حرم الكيمياء في عصره تلك التي تختلف عنها اليوم ، فكيمياء ذلك العصر كانت مليئة بالشعوذة والغش ، وقد حاول باولو كويلو أن يستلهم شيئاً من تلك الكيمياء القديمة التي تسمى خيمياء في روايته التي حملت اسم (**الخيميائي**) .

التصنيف الجامد يدفع شيعياً ليصف كل من خالفه من اهل السنة بالوهابي دون أن يعرف حتى ما عصر المخالف له ، وقد حاورت مرة أحدهم فقال بأن البخاري وهابي **!** .

وفي كتيب أصدره مركز الجزيرة للدراسات وهو (**ظاهرة التكفير في المجتمع الإسلامي**) يصف الكاتب عبد اللطيف الهرماسي ابن كثير بالحنبلي **!** مع انه شافعي المذهب لكن لمجرد الارتباط الشرطي بين ما يراه تشدداً والحنبلية كان سهلاً هذا الربط .

ويذكرني هذا بقصة تقول : أن واحداً دعا صاحبه لاحتساء خمر ، فتمنع صاحبه فقال له : هل أنت حنبلي

ويكأن الشافعي مثلاً يجيز شرب الخمر **!؟**

إلا أنه التصنيف الجاهز المتعامي عن الحقائق يوقع صاحبه في العمى .

التصنيف وهو يخفي سلطة وأيدلوجية

كثيراً ما نسمع كلمة داعية والدعوة والحركة الاسلامية ، لكننا نغفل عما وراء تلك الكلمات وعما تحملها من مضامين سلطة ونفوذ ومصالح .

في جماعة التبليغ أو "الأحباب" كما يطلق عليهم في الخليج ، يخرج المرء معهم وسرعان ما يكتشف أنهم ينادونه بوصف غريب ، إنه : يا شيخ ! .

لا يفطن بداية ما يحويه هذا وما الذي يمكن أن يحدثه فيه ، إلا أنه يتعود بالأيام على أن يقال له شيخ .

يقولون نحن لا نكره أحداً على أن يلبس السنة ، لكنك سرعان ما تجد هذا الرجل لبس مثلهم .

إنه يلبس عمامة وأحيانا لباساً باكستانياً ، وتحسب أنه لوهلة ليس من أهل البلد التي يقطنها ، إنما هو سائح ، أو عابر سبيل .

سيجد نفسه مختلفاً عن غيره ، ويعطونه مجالاً ليتكلم في المسجد عبر بعض الضوابط أو بلغة أخرى مثل الورقة التي توزعها وزارة الاوقاف في عدد من الدول على الأئمة فيتحدثون فيما هو مسموح به لهم .

لكنهم لا يعطونه هنا ورقة إنما يعطونه ضوابطهم ، فيقولون له : تكلم في ما يسمى عندهم بالصفات الست عن الله ، ومحبة المسلمين ، والصلاة ، و إكرام المسلمين ، والدعوة ونحو هذا ، ويتجنب سياسة ، والخلافيات الفقهية ، وأمراض الامة ونحو هذا .

إنه يصبح معبراً عنهم ليس أكثر ، إنه يعيد كلامهم بلغته ، إنه يصغي إليهم في حين يحسب أنهم يصغون إليه ، إنهم يلقنونه ، وهو في الظاهر يدرّسهم ، والصفات المذكورة تتماهى مع المعاني التي تعبر عن الجماعة ودون فهم اصطلاحهم لا يفهم غيرهم مثلاً ارتباط الدعوة الى الله بالخروج معهم بله تأويلاتهم لآيات الخروج في سبيل الله بأنها خروجهم المخصوص .

إنه شيخ بانتمائه إليهم ، وعمامته تعفيه من التعرض ليكون مدعواً منهم بل داعياً معهم لمن لا يلبسون مثلهم ، إن شيخ هذه تعطيه امتيازات داخل الجماعة ، مثل إمكانية أن يتزوج ابنة واحد منهم دون كبير مهر ، هذا مجرد مثال لما تحويه المصطلحات التصنيفية على سلطة وأيدلوجيا معينة .

وتجد في كتابات الراشد وهو يتحدث عن الحركة الاسلامية معاني هذا الكلام فهو يتحدث تحديداً عن الإخوان ، بل يصل الأمر إلى ابتكار أصول خاصة في الفقه عندهم فيقولون مثلاً : اجمعت الحركة الإسلامية على كذا في مسائل فقهية معينة كحكم العمل البرلماني ونحو هذا .

فيضحي إجماعهم حجة **!** مع أنه ليس معتبراً في أصول الفقه الأصيلة .

إلى أن يصل الراشد في كتابه (**أصول الإفتاء والاجتهاد التطبيقي**) إلى القول بأن الداعية يُفتى بكتابة الربا وإجرائه والشهادة عليه لتحصيل الخبرة وذلك أن الدعوة تسعى لتحكم سياسياً ، وشرط تصويب ذلك عنده إذن أمراء الدعوة .

وأنت لو حذفت هنا كلمة دعوة وداعية وأبدلتها بالإخوان والإخواني لكان الامر اصرح ، ولما تحته أوضح .

ومن زمن قديم كان الإسماعيليون يلقبون دعاتهم بالداعي فلان .

فعندهم مثلاً الداعي أبو يعقوب السجستاني ، والكرماني .

وفي توزيع للالقاب تترتب الجماعة والأسماء لها اصول دينية معينة ، يتم تحويرها داخل الجماعة وتضحي الدعوة دعوة أيدلوجية معينة .

هذا الأمر يستشري في جماعات كثيرة وكمثال على هذا ما ينتشر فيما يسمى بالسلفية الجهادية من مصطلحات مثل متفقون في المنهج اخوة المنهج ونحو هذا .

ويضيع في هذا التصنيف فيصل دقيق بين العمل للدين وبين العمل للجماعة ، ولا تبرز المسالة صريحة إلا عند مخالفة الجماعة .

وكمثال تاريخي ما قالته زينب الغزالي في مذكراتها عن عبد الناصر بأنه كافر ، لأنه يحارب الاسلام الذي يتجسد في جماعة الاخوان .

وبقطع النظر عن عبد الناصر ، فالشاهد هنا تعليلها ، ليقال : ما الضامن ليقولوا هذا يعادي الاخوان وذلك يعادي الإسلام المتجسد فيهم ! .

هذا الأمر منتشر بشكل ملفت عند كثير ممن يحبون تسميتهم بالسلفيين ، فإن وقع خلاف مع شيخه قال : إنك تحارب السلف الصالح ودعوة السنة ! وفي الواقع فإن خصمه لم يحارب إلا شيخه ، وأقواله هو التي زعم أنها السنة ، ولكن هنا "سر التجسد" ! بين السلف والشيخ ، الإسلام والجماعة ، الدعوة والحزب .

وكمثال قديم ما وجهه ابن تيمية من نقد للمنظومة الأشعرية والتي جعلها عدد من خصومه مهاجمة

للدين نفسه ! .

ولا زلت أذكر كلمة لأحدهم وهو يقول سجن أبي بسبب الدعوة الاسلامية ، فحسبت لبرهة أن والده من الدعاة إلى الله في عهد ستالين مثلاً يجوب الاتحاد السوفييتي .

فقلت : كيف هذا ؟ قال : كان من مؤسسي حزب التحرير عندنا .

فقلت : أي سجن لأجل نشاطه الحزبي ؟

قال : لا بل الإسلام .

هنا يضيع الفارق بين الجهتين فالمتدين لا يلزم أن يكون في حزب معين ، فقد يكون في غيره ، وقد لا يكون له أي نشاط حزبي أساساً ، لماذا سجن من حزب معين لما يقال : بسبب الدين ، تكون هذه محاولة للتوحد بين الحزب والدين وتظل الإشكالية قائمة كما ذكرت عند العداء مع الجماعة .

فما حكم من وقفوا ضد الدعوة الاسلامية ؟ سيكون التكفير حلاً مثالياً للمسألة ! فمن هو الكاثوليكي الذي يقف ضد دعوة الناس إلى الكاثوليكية ! ، أو البروتستنتي ضد البروتستنية ، أو يقال بل هو مسلم لكنه يعادي الدعوة للإسلام ! .

في ارتجالية فقهية كثيراً ما عانت منها الجماعات الاسلامية ، وقد يحاول بعضهم الخروج عن هذا بحل تفويضي ، لا أدري بعبارة أخرى ! ، وبحيلة من الكلمات كان يستعان بعنوان كتاب لمرشد الإخوان

الهضيبي **(دعاة لا قضاة)** ، فنحن لسنا قضاة فلا نقول عن الذين وقفوا ضد الإسلام - بنظرهم - مسلمين ولا كفاراً **!** أو نتعامل على أنهم مسلمون لمصلحة الدعوة ، وهذا يقتل أي بحث فقهي ونظري .

بل إن التوحد بين الحق والداعية إليه بنظره يصير مسألة شخصية حتى ، وهذه لوحدها تحتاج تحليلاً لا تحتمله هذه السطور ، فعلى هذا النحو اتهم محمد الغزالي مرشد الإخوان حسن الهضيبي بالماسونية لما وقع خلافه مع الجماعة ، واحتد في نقاش شبابهم واصفاً لهم بالغلو ، وسطر هذا في كتابه **(من معالم الحق)** في طبعاته الأولى ، وفي طبعة حديثة صدرت عن دار النهضة حذفت هذه الصفحات مع إبقاء سياق لا يكتمل دونها **!** وكأن القارئ لن يفطن لوجود نقص في تلك المواضع .

ثم لما اصطلح الغزالي مع الهضيبي تبخر الاتهام وصار الهضيبي عند الغزالي رجلاً صالحاً .

التراتبية داخل الجماعات فيما يحمله التصنيف لا يمكن تجاهلها ، فذلك شيخ مجرداً وآخر علامة وآخر أمير وذاك نقيب وذلك وذلك ، ولكل لقب مركزه ، ومكانته ليست المعرفية بالضرورة بل نفوذ وسلطة وموقع .

الوضوح كغرض للتصنيف

كما سبق فإن الإنسان لا يفكر في كل شيء معاً ، إنما يفكر في شيء معين من بين أشياء كثيرة ، لكن تصوره لذلك الشيء وتصنيفه يفترض أن يكون واضحاً وفي نفس الوقت حقيقياً .

يكون واضحاً ببيان ما هو ذلك الذي تم تصنيفه وحقيقياً أي مستنداً إلى أرضية معرفية تعكس الواقع كما هو باكبر قدر ممكن .

ولا يفترض أن يتم التوقف عند مرحلة معينة باعتبار أنه تم تصنيف الشيء مرة واحدة وإلى الأبد ، بل ينبغي مراجعته بين فترة وأختها لرصد أي تغير في الواقع وتعديل التصنيف بما يوائم ذلك التغير .

وعلى سبيل المثال فإن جماعات كثيرة يطرأ عليها تغير ، وتبرز داخلها مشاكل فلا يكون الاحتكام للتصنيف السابق سديداً ، بل يجب إعادة قراءة الواقع للتعديل التجريدي للتصنيف .

فالشيعة مثلا ليسوا سواء ، وليست كل فرقة هي هي عبر تاريخها بل يجري التطور والتغير داخلها ، وكثير من تحليلات الإسلاميين تكون غير واضحة ، وليست حقيقية أيضاً عندما يعتمد تصنيف قديم في تحليلات سياسية معاصرة مثلاً النصارى واليهود هذه تصنيفات فعالة جداً في الماضي ، وفعالة اليوم كأحكام فقهية وهي معيارية ، لكن أن يتم تحليل العالم اليوم سياسياً على أسس دينية مجردة يوقع أهله في بؤس من المثالية الحالمة .

فأوروبا دخلت صراع حربين عالميتين ، ويذكر كلايف بل في كتابه (**المدنية**) أنهم تحيروا ما الذي سنعلنه في الحرب على ألمانيا هل هم بروتستانت مثلا وفرنسا كاثوليك أم هم ملاحدة أتباع نيتشه ، ماذا ؟! إلى أن يصل إلى معيار آخر وهو المدنية بنظره .

لا تختفي المسحة الدينية تماماً ، فحتى في الاتحاد السوفييتي والثورات الماركسية كانت تستخدم مضامين دينية ، إلا أن الاقتصار عليها لا يفسر الكثير ، في هذا العصر الذي تتزاحم فيه المطامع المصلحية مع القومية مع الايدلوجية مع الاقتصاد .

وهذا التزاحم لا يعني أنها كلها تتساوى بنفس المقدار بل الجانب الاقتصادي في العجلة الراسمالية وما يفرزه من مصالح وحتى أيدلوجيات له التاثر الأكبر في السياسة .

على أي حال فالوضوح هو غرض التصنيف سواء كان وصفياً أو معيارياً ومتى بدا غامضاً فانه لا يفسر الكثير .

ومن الأمثلة على هذا مصطلح " الحشوية " ، فهو مصطلح يعبرعن قدح مجرد أكثر من أي مضمون معرفي ، بل تجده في تاريخ الفرق لا تكاد فرقة تصف غيرها به إلا وتوصف هي به أيضاً من خصومها مع فقدان مفهوم موحد او قل ضابط حقيقي لإطلاقه .

الوضوح مهم في التصنيف أما المصطلحات الغامضة المحتملة لكثير من المعاني فإنها لا تصلح لأي نسق فكري جاد .

على أن الغموض في المصطلحات قديم في تراثنا فمثلاً : مفهوم الجسم الذي كان يتم نفيه عن الله عند كثير من الفرق احتاج تحريراً طويلاً من ابن تيمية ليتنبه أن نفيهم بهذا الإطلاق أوقعهم في إثبات موجود ذهني خارج الذهن البشري ليلتحقوا بالمثالية .

وإلى اليوم نجد بقايا ذلك التفكير الذي يقيم نسيجه الفكري على مصطلحات يلفها او يلف شق منها الغموض

ومثاله الاسلام ليس مادياً ولا مثالياً كما يقول مصطفى محمود فما هو نظره للاسلام إن نفى الاثنتين ؟

تجده بكل صراحة بعد هذا يتكلم بلسان أفلاطون عن العقل الكلي الشامل ، بل واثبات أن المعرفة عملية تذكر فما هي المثالية إن لم تكن هذه .

إن الغموض في التصنيف يفتح المجال على مصرعيه لتفسيره كما شاء ، كما أنه يفتح مجالاً لترجيح تصنيف على آخر بمجرد المصلحة دون أي مبرر نظري .

وإن التطرف في المواقف غالباً ما يكون منعكساً على التبريرات النظرية ، فيضحي التصنيف أسرع ، وأشمل بحيث يحجب عكس الواقع كما هو ، وهذا وإن أغلق أعين الأتباع عن حسنات خصومهم ، لضرورة العمل بشدة ضدهم وهذا جانب مصلحي بل إن هتلر كان يقول لا تكذب لكن لا تذكر حسنات الخصوم في كتابه (**كفاحي**) إلا أن هذا يصنع غشاء كثيفاً من الغموض ، يمنع الاستفادة من الخصم ، الذي يقول لينين في حقه :"إن نصف السياسة نتعلمها من عدونا" ، إنه يصنع توجساً وريبة في كل قول للآخر يدفع في أحسن الأحوال إلى التوقف في شأنه .

إن هذا الغموض يمنع المساءلة تماماً فكل مصطلح غامض ، إن قلت لأهله لماذا تقولون بهذا ، قالوا لا نقول به ، وفسروا كلامهم بغير ما وقع النقد عليه ، ثم مع كل مرة وتكرار يضحون كل شيء حتى التناقضات ذاتها ، وهذا مشاهد في الشعارات والخطابات التحشيدية ، والتي وإن جمعت كثيراً من الناس تحتها ، إلا أنها تسمح بأن يفسر كل منهم ما سمعه كما يريد ، وقد قال بعض الطرفاء لو قلت لثلاثة من النصارى اشرح لي عقيدتك ، لخرجوا لك بأربعة تفسيرات !

الجماعات الإسلامية تحت عدسة النقد

من الأمور المتوقعة دوماً إن تكلمت عن الجماعات الإسلامية أن تسمع من يقول : يا أخي ما لك ولهم هل خلت الأرض من العلمانيين والملحدين والكفرة حتى تنقدهم ، وبمسحة من الإسكات لعله يستشهد بقول القائل :

أقلوا عليهم لا أباً لأبيكمو *** من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

وفي الأول والآخر هذا شعر ، وليس قانوناً عاماً للبشرية ! ، والنقد ليس بحاجة لاستجداء مشروعيته بتبريرات مثل اليد تفرك أختها بشدة أحياناً ، فلنفرض أننا لسنا يدين ! النقد محله الخطأ ، فمتى وجد الخطأ نادى على النقد لينطق .

ومن يعتذر يفترض أن يرد عن الموضوع بأنه ليس خطأ مثلاً ، وإلا فليس الناقد ملزماً بالسكوت .

من الذين لاحظوا إسكات صوت النقد داخل الجماعات الإسلامية ، عبد الله النفيسي وكتب كتابه (**الحركة الإسلامية ثغرات في الطريق**) ، إن النقد لا يُلتف عليه بحيل باسم الشروط ، مثلاً قول من يقول : لا بد للنقد أن يكون بناء ، فهذه لا أفهم معناها تحديداً يبني ماذا ؟ وهو يريد هدم الزلل ، سواء بنى أم لم يفعل إن كان صحيحاً يفترض أن يقبل وإلا فيرد لكونه باطلاً ليس لكونه بناء أو هدّاماً .

بالنسبة للجماعات فأخطاؤها ليس فردية ، وليست سلوكية فحسب ، بل كثير من أخطائها تصوغ المخيلة العامة للمنطقة العربية .

وبعد أفول نجم القومية ، واليسار ، وتهدم الاتحاد السوفييتي ، كان صعود الإسلاميين يشبه حسماً فكرياً للمجتمعات ، فمتى وجد الخطأ وتم نقده يستتبع هذا نقد ما وقع عليه الأثر في مخيلة الناس عموماً .

ومن الأمور المهمة في رحلة النقد أن يعتبر التاريخ فيه ، فلسنا نتحدث عن أفكار خارج إطار التاريخ والأحداث ، والبحث التاريخي يكشف في جوانب كثيرة عن تماه فكري كبير بين الجماعات الإسلامية وخصومها ، بل لو قيل إن العداء الكبير بين القوميين والإسلاميين ، لم يكن حقاً أفولاً لمقالات القوميين ، بقدر أنه تم احتواؤها في المجتمعات بغلاف ديني !.

الأمر شبيه بالنقد الذي يوجهه ميشيل فوكو للنموذج الشيوعي بأنه رغم عدائه الشديد للبرجوازية ، إلا أنه أقام أسراً بنفس النمط البرجوازي ! مع غلاف اشتراكي فحسب .

إن الجماعات بل والأفراد من الدعاة ، صاغوا وعياً لشباب جيلهم ، خصوصاً بعد انتفاضة الأقصى وأحداث 11 سبتمبر .

وقد برزوا إلى السطح مع تاريخ يمتد إلى أكثر من قرن في تفاعل في المنطقة ، وتطور في المواقف والخطابات والأطروحات .

مثلاً جماعة التبليغ في ظاهر الأمر تدعو الناس إلى العبادات والأخلاق الحميدة ، والخروج في سبيل الله ، لكنها في باطن الأمر وهو ما يهمنا هنا تؤثر في صياغة عقلية انتظار المعجزات ، والبلاهة السياسية ، والسذاجة التصنيفية ، لدرجة أنها تخرج فرداً في القرن الواحد والعشرين وكأنه من مخلفات العصر العباسي

، بل قل عامياً في ذلك العصر وليس مثقفاً فيه فلا هو يعرف السريانية حتى يقرأ أصول الكتب المترجمة ، ولا هو محدث يطاول في قدرته العملية علماء الحديث الناشطين في ذلك الزمن .

إنها تساهم لدرجة كبيرة في ابتذال المقام المعرفي التعليمي فيما يخص الدين ، فيضحي مرتاد غرزة بالأمس مدرساً للناس دينهم على المنبر اليوم لأنه خرج 3 أيام !

وتركته من الماضي تلقي بظلالها على خطابه الذي يبثه في السامعين ، ومن بينهم أطفال ومراهقون يغرهم المظهر أكثر من الجوهر ، ويصدقون بكلامه أكثر من صاحبه !

ولا يقال هذا سلوك فردي ، فهو وإن كان فردياً إلا أن الجماعة تقوم عليه ، فمجموع الجماعة هنا عبارة عن مجموع سلوك أفرادها هذا .

إن هؤلاء وإن أنقذوا رجالاً من سموم الأفيون ، إلا أنهم يبثون أفيوناً من نوع آخر ، وهو المثالية بأوضح صورها الرجعية البائسة .

ولفقدان أي نسق فكري عندهم ينفتح أتباعهم على كل الخيارات ، فيفرخون الإخواني مستقبلاً ، والجهادي ، والسلفي ، والتحريري ، والصوفي .

أو يبقى في مرحلة المنزلة بين هذه وسابق عهده تبليغي أي بريد لهذه الجماعات .

وقد أدرك كثير من الجماعات هذا ، لذا لم ير سعيد حوى معارضتهم بل أوصى شباب الإخوان بالخروج معهم ، وكيف لا وهم يستقطبون ما يعجز هو عنه ، وبالتالي يقدر "الداعية" باصطلاحهم ، على دعوة هؤلاء لما يريد .

ويفطن لهذا أيضاً أبو مصعب السوري وهو جهادي ، فلا يرى مصادمتهم فهو سبيل إلى الوصول إلى ما يريد أو هم مشاركون في استقدام ما يعجز هو عنه وعلى هذا فقس .

إن خطابات هذه الجماعة التي أنشأها محمد إلياس ، في بيئة صوفية لم يكن ليخرج عنها ، تزج بالتصوف المبتذل لتعممه في وعي السامع ، مع مسحة متأثرة بالخطاب السلفي في المنطقة العربية ، لتخرج جيلاً لا يمتلك عقلاً نقدياً ، بل يمتلك صوتاً يصدع به على المنابر ، ليلبسه عنوان كتاب عبد الله القصيمي (**العرب ظاهرة صوتية**) كأفضل وصف .

إن البؤس المعرفي يحول أفراداً كثر داخل هذه الجماعة ، كظاهرة يمكن رصدها إلى مرضى نفسيين ، مهوسيين بالوسوسة ، والسحر ، والعين ، ونحو هذا ، ولا أتحدث عن هذا هنا فقهياً ولا عقدياً حتى يستحضر المعارض أي نقول ، إنما الحديث هنا عن الهوس ، الذي يدفع عدداً منهم لا بأس به إلى قلق مرضي بهذه المواضيع .

وكثير ممن أعرفهم منهم أسرع الناس إجابة للدجالين والعرافين ، وبعضهم ينفق أموال كده وتعبه التي ينتظرها أبناؤه على الراقين ، الذين أعرف من تزيد كشفيتهم على كشفية طبيب مختص ، ومنتشرون بينهم بإذن من أمراء الدعوة إلى الله ! .

هذه الجماعة رغم خصومة كثير من التيارات لها ككثير من السلفيين ، وللتويجري وغيره ردود عليهم ، إلا أن تلاقح الأفكار بين الجماعات نفسها لا يمكن إغفاله أيضاً .

فكثير من الأطروحات بين من يوصفون بالسلفيين شبيهة بطرحهم ، مع فارق ترديد : صححه الألباني ، وضعفه الألباني .

وخبرتهم بـ (**الصحيحة**) و(**الضعيفة**) تفوق خبرتهم بأي كتاب حديثي آخر ، لدرجة أن كثيراً من مدارسهم لا يصدق عليها وصف مدرسة سوى للبناية الفخمة المعدة لهذا مما جمع من أموال الناس .

فتجد واحداً منهم له عشر سنوات يطلب العلم ولا يقدر على تحرير مسألة فقهية ، لكنه يقدر على الصياح والتسجيع والتنميق ، والتفنن بالنقول كأنه خلق آلة طباعة **!**.

وغايته ترديد عناوين عامة لا يختلف فيها حديث إسلام عن قديمه فيها ، كتاب وسنة ، واتباع الدليل ، واحترام السلف الصالح .

إن المخيلة السلفية البعيدة عن الفقه والواقع وأدوات معرفته ، لا يمكنها أن تستثني شخصية تم تفريخها وكانت تحضر دروس الألباني وهو جهيمان العتيبي الذي لا يختلف عن أي سلفي بالعناوين العامة كاتباع السلف والكتاب والسنة .

جهيمان الذي أقدم على اقتحام الحرم المكي بهوس جنوني بأحاديث المهدي والفتن والملاحم ، والذي لا يكاد يختلف خطابه عن كثير من السلفيين في حتميته ، والتفاته للدليل مع إغفاله بأن الدليل هو ما يتوصل بالنظر الصحيح فيه إلى مطلوب خبري .

فيغفل النظر الصحيح ، والذي لا يكون دون مران في الفقه وأصوله ، ويخفي عدم أهلية هذا الناظر للدليل **!**

جهيمان لم تنته حكايته ، فقد ورثها للمقدسي الذي بدوره لقنها للزرقاوي ، والذي بدوره أعلن الدولة في العراق لتصبح بعده تضم مناطق في سوريا ويضحي لقب داعش اصطلاحاً عليهم .

إن مفهوم وحدة الجماعات الإسلامية ، يفترض أنه تبخر مع الثورة الإيرانية ، ثم تجربة أفغانستان ، تلك المنطقة التي تجمع فيها مقاتلون من كل مكان .

فخطابات منتصف القرن العشرين كانت تفترض وحدة الأمة وتصوراتها ، ويبرز هذا مثلاً في كتابات النبهاني مؤسس حزب التحرير ، فهو يعمل في الأمة ويستنهضها ، لتصل إلى خلافة بخليفة واحد ، صلاحياته هي صلاحيات الدولة **!** .

في تجاوز للخلافات بين الأمة ، فهو يخلط بين الأمة كواجب ، وبين الأمة كواقع يعيش فيه تتوزع على مقالات الفرق ، وتختلف طموحاتها القومية ومصالحها الوطنية .

وقد تم اكتشاف أن ايران تشتد فيها النزعة القومية الفارسية مع المعتقد الشيعي الإمامي ، فكيف إن وصل الأمر إلى زيدية اليمن ، وإباضية عمان ، وصوفية المغرب ، وأشعرية الأزهر ، وسلفية نجد ، وغيرها مما لا يمكن تصنيفه بعد بالطرق التقليدية **!** .

وكان عبد الله عزام قد شارك في تأسيس مكتب سماه "مكتب الخدمات" ، ويطلعنا تراث الرجل على قوله بأن أفغانستان تجمع فيها أكثر من نصف مليون مسلح من المهاجرين والمقاتلين أهل البلد .

مكتب الخدمات كان يقول عزام إنه جماعة الجماعات ، في محاولة لتوحيد الفصائل وحل خلافاتها .

ورغم تكذيباته المتكررة لأخبار القتال بين الفصائل المختلفة ، ومشاركته في مخيلة المؤامرة العالمية ، فهذه الأخبار مجرد فبركة مخابراتية تصوغها بي بي سي بنظره ، ولا يوجد قتال بين الإسلاميين هناك .

وهوس الوحدة تعامى عن صراع القبائل والأعراق وخلافات الجماعات الإسلامية ، التي كانت في خلاف معه ، بل بعضهم يشير إلى تورط بعضها في اغتياله ، دون شيء مؤكد تماماً .

إلا أنه احتوى بين أنصاره خصومه ، والحتمية الدينية البلهاء لا تمنع أن تستغل لمصلحة غيرها ، ولربما تقوم ارتجالاً بما يخدم خصومها من حيث لا تشعر .

عزام في الواقع كان مثالياً لدرجة كبيرة فقد كان يرى أن ما يحدث في أفغانستان ليس صراعاً بين دولتين عظميين ، بقدر أنه تأسيس "لقاعدة إسلامية" وهذا الاسم أطلقه هو حرفياً في كتابه **(إلحق بالقافلة)** تنطلق لتحرير المقدسات ، وفلسطين في الطريق بعد إنهاء مهمة أفغانستان ، وغيرها بطبيعة الحال **!**.

لقد كان فذاً في تبريره منع تعليم البنات في أفغانستان ، فالموضوع ليس كما يصوره الإعلام الكاذب ، بل كل ما هنالك أن هناك مدرسات من فترة الشيوعية يلقن البنات الإلحاد **!** وحالما ينتهي هذا الأمر سيختلف موضوع تعليمهن .

بطبيعة الحال انتهت تلك الحقبة ولا تزال تتسارع الأخبار عن تفجير مدرسة للبنات ، إلى قطع أنف طالبة تتعلم ونحو هذا ، لتكون أصغر من حصلت على جائزة نوبل للسلام "ملالا يوسف زي " التي كانت طالبة من منطقة وادي سوات ، والتي أطلق عليها النار وهي في حافلة المدرسة **!** .

لست مؤرخاً هنا ، إنما ألفت النظر إلى تلك المقالات التي تم امتحانها ، ومعرفة مشاركتها في استحمار السامع ، ثم تتكرر مراراً لسبب رئيسي وهو غياب التأريخ النقدي للجماعات الإسلامية .

فغالب التأريخ يكون تمجيدياً وهو ما تزخر به المكتبات الإسلامية عن العمالقة ، والأئمة ، والمجددين في القرن العشرين دون قراءة نقدية لتراثهم من داخل التاريخ لا خارجه .

لتفكيك كثير من المصطلحات الغامضة مثل حركة إسلامية ففي الواقع هناك حركات ، وهناك عقائد ، وهناك مصالح متصادمة ومتقاطعة أحياناً.

هذه التركة تبين ما هو كائن لا ما يفترض أن يكون ، فلا نتحدث هنا عن ماذا يفترض أن تكون الجماعات ، ولا ما يفترض أن تكون الأخلاق ، بل ما هو واقع ، فهو الذي يتم توريثه بمقالات مع تغير القوالب .

كان كتاب عزام **(آيات الرحمن في جهاد الأفغان)** كتاباً يتحدث عن كرامات المجاهدين هناك ، فذلك دمر دبابة بحفنة رمل ، وآخر جمر رتلاً كاملاً بقذيفة واحدة بعد أن قرأ شيئاً من القرآن ، وفي وثائق "أبوت أباد" التي عثر عليها عند بن لادن جاء نص يقول :"الأفغان عادتهم المبالغة "!.

إن سير العمليات هناك ليس بتلك الضخامة ، ويصور أوليفيه راوا في كتابه **(الإسلام السياسي)** سوء إدارة المعارك هناك ، وتعاملها بطريقة ارتجالية اعتباطية ، بل من طريف ما يذكره أنهم كانوا مجموعة من المتألهين ، يطلقون القذائف لتمجيد الرب ، أكثر من أي فعالية حقيقية على الأرض .

ولو استثنينا الدعم الأمريكي ، وصواريخ ستنجر التي وصل بعضها إلى الشيشان ، ونظرنا ما الذي حصل ، نجد أن الجوانب الروحية إلى حد الاحتكام إلى الرؤى والأحلام ، كما كان الأمر عند جهيمان العتيبي ،

تتحكم في كثير من المقاتلين هناك ، إلى الحد الذي دفع أبا مصعب السوري إلى الامتعاض وتسجيل ذلك في كتيب بعنوان (**رؤى وأحلام أم تهيؤات وأوهام**) .

إن نقد الجماعات الإسلامية مهم وفعال ، كون جيل كامل تأثر بهم ، وعلى سبيل المثال فحسب داود الشريان ، الإعلامي السعودي الشهير كان فترة أفغانستان ملتحياً ، وينقل أخبار سير المعارك في تلك البلاد .

في حين أنه يوصف اليوم بأنه ليبرالي من خصومه ، وأنه ضد تلك التيارات ، خصوصاً بعد عدة النتقادات وجهها لما يعرف بدعاة الصحوة في المملكة كسلمان العودة ، وعائض القرني .

وفي مذكرات سلمان العودة (**طفولة قلب**) يذكر الكتب التي تربى في كنف أفكارها ، ويبرز من بينها كتب البنا ، وسيد قطب ، وغيرها .

كذلك فإن محمد قطب وهو أخو سيد سيكون مؤثراً هناك ، كونه يشرف على رسائل جامعية لطلاب في السعودية ، يبرز من بين الأسماء سفر الحوالي الذي أشرف عليه قطب في الماجستير والدكتوراة .

وهذا يدفعنا للحديث عن شيء من أمر الجماعة الأم كما يصفها بعضهم .

الجماعة الأم .. الإخوان

وصف جماعة الإخوان بالأم تجده مثلاً في كتابات أبي مصعب السوري ، وهو جهادي ، فهذه الجماعة لها تاريخ قديم توزعت فيه مواقفه وتغيرت ، وتطورت عبر قرن من الزمن الزمن ، في صراع فكري ، ومصلحي مع المحيط .

تلك الجماعة أسسها حسن البنا ، وهو صغير ، و لم يعرف بأي تحقيق فقهي أو عقدي بقدر أن والده رتب مسند الإمام أحمد ، وهذا له وزنه وصداه في المملكة العربية السعودية التي غلب فيها المذهب الحنبلي ، مع أن والده ليس مثل الوهابيين في السعودية الذين سارعوا إلى منع التبغ ، فيطلعنا جمال البنا في ترجمته لوالده بأن الوالد كان مدخناً مثلاً .

حسن البنا كان سلوكه بداية شبيهاً بجماعة التبليغ ، فيلبس العمامة ، قبل أن يلبس الطربوش والبدلة دون جرافتة .

وكان مهتماً بشيء من الإصلاح الأخلاقي والدعوي أكثر من صياغة نظرية وبحث عقدي مدقق .

لم تكن كثير من الأفكار التي بثها سيد قطب موجودة في مخيلة البنا ، ويطلعنا في مذكراته (**مذكرات الدعوة والداعية**) على اجتماع بينه وبين أحد القضاة .

ورآه يلبس خاتماً من ذهب ، فقال له حسن بأنه منهي عنه ، فقال القاضي أنا أحكم بشريعة نابليون ، ولكل شريعة **!**

فقال له البنا لكننا كلنا مسلمون ، والرسول صلى الله عليه وآله وسلم نهى عنه ، فنزعه الرجل ووضعه في جيبيه .

إلى أي درجة هذا الحوار يبين فقه الأولويات عند البنا **!** الذي يجعله القرضاوي واحداً من المدركين لأهميته في كتابه (**فقه الأولويات**) فرجل ينتسب إلى شريعة نابليون بالحرف يدور معه حوار في مسألة فقهية تتعلق بلبس الذهب والرجال في شرعة الإسلام **!**.

نتخيل مثلاً لو أن سيد قطب كان هو المحاور سيختلف الطرح كلياً ، وسيتحدث مع الرجل عن جاهلية شرع نابليون ، وحاكمية الإسلام بقطع النظر عن أي تفريعات .

لكن هذا لم يكن حاضراً هنا على الأقل عند البنا ، وإلى أي درجة كان محاوره لبقاً فداراه أو التزم بحق بشرع غير الذي ينتسب إليه .

حسن البنا الذي أنهى دبلوماً وعمل مدرساً للخط تأثر به عدد من الناس لم يكن واحد منهم في البداية من أهل المعرفة والعلم الشرعي ، وكان له تأثر بالصوفية ، واتهمه عدد من مشايخ الأزهر بإساءة الأدب في خطاب بعض مشايخهم وهو يحرضهم على العمل من أجل الإسلام .

وكان مما قاله إن لم تدافعوا حمية عن دينكم فمن أجل الخبز الذي تأكلونه **!** .

هذه الكلمة مهمة وسيكون لها صداها فيما بعد خصوصاً بعد تعرض أوقاف الأزهر للتقسيم أيام ثورة 52 ، ويصير الأمر فعلاً متعلقاً بالخبز ويمس مؤسسة دينية .

وسيطرح البنا خطابه التحشيدي بشيء من العناوين العامة غير المحددة تماماً ليقول عن جماعته "عقيدة سلفية ، وتربية صوفية ، وجماعة رياضية .. إلخ "

فكأنه يقول نحن الجميع ! بما أن الإسلام شامل ، ودعوتنا شاملة سنشمل كل هؤلاء كونهم مسلمون تهمهم قضية الإسلام .
وإن مرحلة البنا تغلفها الأساطير في ذهن كثير من أنصاره ، فيخلطون بينه وبين مرحلة قطب الصدامية ، فيتجاوزون مثلاً حقائق كمشاركة 20 ألفاً من الإخوان يرأسهم حسن البنا في بعض احتفالات الملك فؤاد ، وهم يصيحون "الله أكبر ولله الحمد" ، كما ذكر البنا نفسه في مذكراته .

من صورة الشاب القريب من التبليغيين ، إلى ذلك الرجل الذي يتزعم جماعة ، وإن صدقنا سعيد حوى فقد كان قد جعل لنفسه منزلة "المرشد الكامل" ، قبل أن تتحور بعده إلى المرشد العام للإخوان كمنزلة .

لكن البنا بحسب حوى كان المرشد الكامل .

كما أسس البنا جهازاً خاصاً دار حوله كثير من الكلام ، وتم تبريره مراراً بأنه ضد البريطانيين ، ومن أجل فلسطين ، إلا أن هذا وإن صدق في نصف الحقيقة ، إلا أنه يتجاوز أن البنا أراد قوة "للدعوة"، وفي بعض رسائله التي طبعت أنه سينذر قومه مراراً قبل أن يقول ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين !.

وهذا رسالة يمكن فهمها بأنها تهديد دبلماسي ، باستعمال القوة ، وعلى أي حال فالشيء الحتمي أن الجهاز الخاص لم يكن خاصاً بالأجانب فقد نفذ الجهاز عدة عمليات منها اغتيال الخازندار ، بسبب سوء فهم لإشارة من البنا حيث تمنى التخلص منه ! ، والبنا نفسه لم يعب الأمر مبدئياً ، بل قرر بأنه لم يصدر أمراً صريحاً بالقتل ، لا أن النظام الخاص تأسس دون أن يكون مهيئاً لذلك مبدئياً وشهادة محمود عساف في كتابه **(مع الإمام الشهيد)** مهمة في هذا الباب .

ورغم استنكار البنا للحادث علنياً ، وتصوير عدة من الكتاب الموقف كدراما فذرفت عيناه ،إلا أنه في الباطن تم اعتباره قتل خطأ ! كون القتلة قصدوا قتل روح التبلد الوطني ! كما يذكر محمود الصباغ في كتابه **(حقيقة التنظيم الخاص)** .

وهذا يبين أي مهزلة فقهية يتم التعامل بها مع حدث مثل هذا ، فهذا قتل خطأ كونه قصد قتل التبلد الوطني فأطلق فأصاب الخازندار دون إذن صريح .

طبعاً عمليات التبرير لا بد أن تذكر أن البنا أجهش بالبكاء لقتل الخازندار .

ثم إن البنا كان قد وافق على اتصال بالسفارة الأمريكية ، والتي عرضت عليه التعاون معهم لمحاربة الشيوعية ، لقاء المال ، فرفض المال ووافق على التعامل ! "وقد كان معه محمود عساف وسجل هذا في كتابه مع الإمام الشهيد" .

فالعدو مشترك ، وهذا يعني تحديداً العمل لمصلحة الولايات المتحدة ، ضد الشيوعيين المصريين وغيرهم ، إنه يعبر هنا عن الحرب بالوكالة التي يسهل خوضها من الجماعات الإسلامية ، وليست تعمل بالمال ! بل لله تعالى ، إن الرأسمال يفضل العمالة الرخيصة ، فكيف إن وصلت إلى المجان ! .

وبعد هذا بسنوات سيكون بريجنسكي مستشار الأمن القومي حينها للرئيس كارتر يحرض على الجهاد في سبيل الله على الحدود الأفغانية الباكستانية .

ولما وقعت محاولة نسف مكتب النائب العام ، وجد البنا أن أمر الجهاز خرج عن سلطة المرشد الكامل ، فرفع "فيتو" على كونهم إخواناً ، بما أنه المرشد الأعلى ، وكذلك على كونهم مسلمين ، فقال : " ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين" .

وهذا يعيدنا إلى مشكلة عويصة سبق الحديث عنها : إن كان له الحق أن يفصلهم من الحزب ، فهل له أن يفصلهم من الإسلام ! .

ثم إن القتل خطأ لا إثم فيه ، فلعلهم قصدوا تدمير مكتب التهاون الوطني ! .

إن حسن البنا أذن لبعض شباب الإخوان بالقتال في فلسطين ، ومن الغرف الذهنية التي تنفصل عن بعضها في المخيلة الحركية ، التفاخر بهذا الأمر ، وبالأيدي المتوضئة التي قاتلت في فلسطين في 48 ، وفي نفس الوقت اعتبار تلك الحروب مسرحية ، ومهزلة ومؤامرة ، ساهمت فيما بعد في تبرير إسقاط عدد من الأنظمة كنظام الملك فاروق في مصر .

وفي غمرة اختلاف محمد الغزالي مع الإخوان ذكر أن الشباب الذين زج بهم في فلسطين كانوا دون تدريب مؤهل ، ولم يختلف سلوكهم القتالي من حيث النتائج عن أي مقاتل حقيقي وقتها ، فكثير منهم قاتلوا أو قل قتلوا بأقل كفاءة ممكنة فكأنهم أهداف متحركة لتدريب العدو .

إن حسن البنا سيقدم لكتاب فقه السنة لسيد سابق والذي سيختلف بعده مع الإخوان ، وينحاز إلى عبد الناصر ، في غمرة الخلاف على المرشد بعد البنا .

وفي نزاع على زعامة الجماعة آثرت الجماعة استقدام فرد من خارجها وهو حسن الهضيبي ، كما يرى الغزالي ، ويخفف بعضهم هذا بالقول بأنه كان يحضر بعض حلقات البنا ، وأثنى عليه ، وبعبارة مسكتة "كم من الإخوان وليسوا معهم " !.

سيتضخم دور البنا التجديدي والإصلاحي بل والعلمي والروحي فيما بعد اغتياله فيما يرجح أنه من السلطة الحاكمة ، وليس ذلك لإسكات "لا إله إلا الله " كما تصور كثير من الكتابات الإسلامية .

بل بعد سلسلة من استعراض القوة التي حسب البنا أنه يمتلكها من أيام الملك فؤاد عبر 20 ألفاً من الإخوان ، وإظهار كشافة الإخوان يقودها أحد أبطال مصر الرياضيين .

إلى وجود النظام الخاص الذي يتفلت ليغتال شخصيات مرفوضة سياسياً من الإخوان ، إلى ما قد يكون معرفة باتصالات مع سفارة أمريكا دون إذن من الملك .

إنه يشكل تكتلاً يشبه دولة داخل الدولة ، فضلاً عن رسائل قد يفهم منها دبلماسياً أنها تلويح بالقوة ، ونفوذ متزايد كل هذا أدى إلى إسراع اغتيال البنا ، الذي لم يترك من تراثه النظري ما الكثير ليحدد سير الجماعة بعده .

بل لم يخف البنا تذمره من سلوكهم الذي وصل إليه ، وهو عدم اعتبار سلطته كإمام لهم ، حتى ينقل عنه الغزالي قوله :" وددت لو أني عدت بالإخوان إلى المأثورات".

إي إلى التربية الصوفية في حلقات الذكر ، وما يستتبعها ذلك من تسليم للشيخ ، بعبار أبي حامد الغزالي تسليم الميت بيد المغسل ، بدل المنازعة والتفلت عن أوامره .

إن اغتياله أدى لانفجار خلافات حادة وصلت إلى التلويح بالقوة من مسؤول النظام الخاص عبد الرحمن السندي كما يطلعنا صلاح شادي في وجه المرشد الجديد حسن الهضيبي .

إن تضخيم دور البنا أدى إلى أن يقارنه مرشد الإخوان عمر التلمساني بابن تيمية في كتابه (**أربعون عاماً من الدعوة**) وفي لمسحة غريبة يقول وإن كانت دعوة ابن تيمية لم تحقق انتشاراً ونجاحاً في عصره ، فإن دعوة البنا حققت هذا **!**.

إن موجة الثناء على حسن البنا بالإمام ومجدد الإسلام تصل في تأثيرها حتى عند الخصوم من غير الإسلاميين ، فتجد واحداً منهم يقول الإمام البنا لم يكن مثل سلوك الإخوان اليوم ، بل آثر التخلي عن الترشح من أجل منع بعض المحرمات .

وكما يحصل مع كثير من الدعوات ، فإن كل فرع في الخليط غير المتجانس ، يفسر الإمام كما يريد ، فالجهادي يراه مقاتلاً مستنهضاً للهمم لنصرة المناطق المغتصبة كما تجده في خطاب عزام .

والسياسي يرى أنه شارك في العمل البرلماني ، ولم يكن له مع الدستور مشكلة كبيرة بقدر بعض القوانين المخالفة للشريعة كما هو شأن نواب البرلمان .

والصوفي يرى أنه رائد التربية والإرشاد كسعيد حوى ، وبعضهم يراه أشعرياً فذاً إلا أنه سكت من باب الأولويات عن السلفيين ، وآخرون يرونه أقرب إلى السلفية لكن بقي عنده بعض الأخطاء إلى دوامة طويلة من الجدال والنقاش ومحاولات احتوائه والانتساب إليه .

بعد اغتيال البنا ، واستلام الهضيبي ، قام بحل النظام الخاص ، وبعد أن سجل اسمه في مقام التشريفات معبراً عن ولائه للملك فاروق ، كان يعد مع من يعد لثورة 52 على الملك ، ثم بعد فترة الخلاف مع عبد الناصر تم حل الجماعة ، وبأمر من الهضيبي عاد نشاطهم مجدداً .

كان سيد قطب الذي تأثر بنبأ اغتيال البنا ، وبعض القصص تتحدث أنه سمع وجود من يحتفل بموته في أمريكا ، ولا نعرف من هم هؤلاء ، لكن على أي حال عاد ليكون إخوانياً وهذه المرة صدامياً ولم يكن ير أن يدعو أحداً لينزع خاتماً ذهبياً وهو يحيا حياة جاهلية **!** .

أفكار سيد بسيطة ، نستطيع أن نلمح فيها تأثير الخطابات اليسارية ، لكن هنا عصبة مؤمنة وأخرى جاهلية ، والناس ليسوا مسلمين وهم يحيون حياة جاهلة ، والجاهلية والإسلام على مفترق طريق ، ولا حاجة لأن ندعو إلى فرعيات دينية ، فعلينا بالأساس وبيان الخلاف المفصلي ، وبشيء من التعبيرات الأدبية كحمأة الردة ، والجبلّة النكدة ونحوها مما بثه في كتاباته إلا أننا نستطيع أن نقول بثقة لقد عبر سيد قطب عن عقلية

الرفض الكامل للمحيط ، واختصار الإسلام بالجماعة التي تحمل همه وتسعى لإعادته للحكم ، إن الواقع يقول : إن الإخوان كانوا يريدون استلام السلطة ، لكن مع سيد قطب يضحي الأمر : "إن هناك عصبة مؤمنين تسعى لإعادة سلطان الله المغتصب إليه **!"** .

واحدة من أهم أفكار سيد التي ستؤثر في أجيال بعده ، تلك المقارنة بين العصبة المؤمنة وأصحاب الأخدود ، فأصحاب الأخدود كانوا قد امتحنوا لأجل عقيدتهم ليكفروا بالله ، بخلاف قوم لم يكرهم أحد على الكفر إنما يسعون هم لإسقاط نظام يرون أنه لا يحكم بما أنزل الله ، الأولى فيها إكراه على الكفر ، الثانية لا يوجد إكراه بل يوجد سعي لتحقيق معتقد كسلطة حاكمة .

وبالفعل تم العمل لإحياء النظام الخاص لضرب عبد الناصر بالارتباط المباشر مع سيد قطب الذي شرح ذلك في كتابه **(لماذا أعدموني)** ، يبرز من بين الأسماء التي يذكرها سيد قطب "علي عشماوي" الذي له كتاب **(التاريخ السري لجماعة الإخوان)** .

هذا الرجل يكشف عن جانب كثيراً ما طال الجدل حوله في التيارات الإسلامية ، فقائل : لقد كفر سيد قطب المجتمعات المسلمة كما هي تهمة عدد من السلفيين له .

وقائل : لا بل استعمل أسلوباً أدبياً فحسب كما هو اعتذار الراشد عنه .

إلى أن نصل إلى القرضاوي الذي يقول يوجد في أفكار سيد قطب شيء من أفكار الخوارج المخالفة لأهل السنة والجماعة ، ويبرر ذلك بأنها كتابات كتبت داخل السجن فترة المحنة .

على أن هذا يتجاوز أن الارتجالية في الجماعات وتحديداً الإخوان ، لم تكن لتفرز التطرف فحسب في السجن ، بل وحتى "الاعتدال" في السجن ، وكتاب **(دعاة لا قضاة)** لم يكتب فترة نقاهة وتأمل الهضيبي بل لدرء تهم الإرهاب عنه ، وقد كان اعتقل لأجلها .

عودة إلى علي عشماوي الذي كان مقرباً من سيد قطب باعتراف سيد نفسه ، فإنه يذكر أن سيد قطب لم يكن يحضر خطب الجمعة كونه يرى أن الجمعة لا تجب دون إمام كما هو قول بعض الفقهاء ، وهذا ليس صريحاً في تكفير سيد للمجتمعات ، إلى أن يصل إلى القول بأن سيد كان لا يأكل اللحم إلا ممن تحقق أنه مسلم **!**.

هذه تكشف إذن جانباً مهماً طال الجدال حوله ، ويستند بعضهم إلى قول سيد في **(لماذا أعدوموني)** بأنه لم يكفر المسلمين ، ليبرؤوه من تهمة تكفير المسلمين ، وهذا ضعيف فمن يكفر مجتمعات لأنها تحيا حياة جاهلية لا يعتبرهم مسلمين حتى يقال إن نفى عن نفسه تكفير المسلمين إذن لم يكفر **!**، فهذا لعب على مشتركات لفظية .

مثلاً المسلم يكفر من يدين بدين النصرانية ولا يعتبرهم مؤمنين ، فلا يقال إن فلاناً قال أنا لا أكفر المؤمنين كدليل على أنه لم يكفر النصارى ، فهو لم يعتبرهم مؤمنين أصلاً ، كذلك هو لا يعتبر من كفرهم مسلمين أصلاً فلا يعتبر قوله أنه لم يكفر المسلمين دليلاً على أنه لم يفعل فمن كفرهم هو لا يعتبرهم مسلمين .

كما أن كلامه في لماذا أعدموني كان فيه طابع تبرئة النفس ، خصوصاً أنه محضر التحقيق ، وقد حاول تبرئة نفسه من عدة تهم ، وتحميل الأمر لعلي عشماوي ، فكيف بتهمة كهذه ، طبعاً علي عشماوي يتهم بأبشع التهم من جانب الإخوان ، فالغزالي تقول أنها رأته وبصقت عليه كونه في التحقيق كان يلبس بطريقة

جيدة مما يلمح أنه جاسوس ، أما أحمد رائف في (**البوابة السوداء**) وهو اسم مذكراته في السجن يضع صورته وهو يشهد على سيد قطب ، ويكتب تحتها " واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آيتنا فانسلخ منها " **!**

هذا كله يعود إلى جانب عداء الجماعة وعداء الإسلام **!** ، الخلط الفظيع بينهما ، لكن عشماوي نفسه يذكر تفاصيل التحقيق معه ، ويذكر أنه لم يبق إخوانياً فانفصل عنهم مما أدى إلى صدامه معهم إلى درجة تطليقه من زوجته **!** .

وهذا الذي يقوله لا يصنف كمبالغة ، فالجماعات الإسلامية تتزوج من بعضها من باب أن ابن الجماعة أولى من الغريب ، أو قل كتبرير ديني "إذا أتاكم من ترضون دينه" ، لكن متى حصل خلاف مع الجماعة فهذا سيستدعي خلافاً عائلياً أيضاً .

على أي حال ستحتوي المخيلة الإسلامية في الجماعات على سيد قطب ، وتضحي بعده تدور كثيراً في فلكه ، لدرجة أن بعض الدراسات الغربية قالت بأن جماعة الإخوان لم تقدم أي منظر بعد سيد قطب بحجم تأثيره .

سيد سيتنازعه الكثيرون ليس حرصاً على أفكاره بالضرورة بل انتساباً لذلك المحترم في الأوساط العامة ، خصوصاً أن الدعاية السعودية ركزت وقتها على سيد ومظلومية الإخوان على أنهم عصبة مسلمون يضطهدون في دولة قومية علمانية اشتراكية ضالة **!** .

وأفول نجم القومية بعد هزيمة 67 ، دعى الناس لتعبر عن رفضها للنموذج القومي إلى رفع شعارات خصومه ، ولتحاك قصص أسطورية حول سيد مثل أنهم طلبوا منه الاسترحام فقال : إن الأصبع التي تشهد لله بالوحدانية تأبى أن تخط كلمة لطاغية أو نحو هذا ، وكيفما كانت الصيغة فليست مهمة فتلك حكاية خرافية وإن رددها عزام وانتشرت في الجهاديين والخطباء ، ولا يوجد لها أي مصدر حقيقي ولا سياق ينصرها .

فسيد أصلاً أطلق سراحه أول مرة بسبب وضعه الصحي ، إلا أنه اشترك في إعادة النظام الخاص ، وكان النظام هذا هزيلاً جداً وصبيانياً ، لكن لا يعني أنه لم يكن موجوداً فبحق وجد سلاح بدائي وجرت بعض التجارب على مواد متفجرة كذلك تخطيطات طويلة وعريضة ، والتي تقترب من الأحلام **!** .

ووصل بعض الأموال من إخوان العراق وهو مبلغ زهيد جداً ، للمشاركة في شراء شاحنتي سلاح من السودان ، كما كانت اعترافات سيد قطب في لماذا أعدموني ، واعترافات عشماوي ، وغيرهما .

مع ذلك فإن دعاية النظام وقتها بالغت في تصويرهم على أنهم جيدو التسليح والتنظيم ، كذا الدعاية الاشتراكية بشكل عام **!**.

أما المتظلمين كأحمد رائف فقد نفوا كل هذا وقالوا الأمر مجرد تلفيق ، والصور لزجاجات كحول ، ومواد مطبخ ونحو هذا ، وهذا أيضاً غير صحيح .

وبعد إعدام سيد ستشهد المنطقة موجة عنف ، وجماعات متعددة يصعب تخيل وجودها تماماً لو لم يكن سيد قطب موجوداً ، إن الدعاية التي تقلاها سيد أيضاً خولته ليصبح منتشراً حتى في الرسائل الجامعية الإسلامية ، فقد كانت كتبه تطبعها حتى بعض المطابع التي أصحابها أقباط في مصر لقاء الربح .

وكما أن جهيمان نشأ في وسط يتعلم الحديث ، كان شكري مصطفى من بيئة إخوانية ، وهو الذي دفعته الأيام لتصدر المشهد فيما حاول عادل الإمام تصويره في فلم (**إرهابي**) .

ولو قرأ من شاهد الفلم مثلاً كتاب (**ذكرياتي مع جماعة المسلمين**) لعبد الرحمن أبو الخير ، لعلم أن شخصية الفلم لم يتم اخترعها اعتباطياً لتشويه الإسلام والمسلمين كما هي الاسطوانة المكررة في كثير من التيارات الإسلامية والتي تصوغ عقل الشارع بعد انفرادها به بطبيعة الحال .

وهنا تبرز إشكالية ، أن المسلسلات والأفلام العربية ، التي تعرضت للحركة الصهيونية مثلاً تصور اليهودي باللحية ، فلا يقول قائل هذا يستهزيء بموسى عليه السلام ، في حين أنه متى نقد ملتحياً مسلماً قيل ههذا يستهزئ بالإسلام ، ولربما صدر تكفير بحقه ، فلربما يريدون ذلك الممثل دور جهيمان وشكري مصطفى أن يلبس شارلستون ويلحلق ذقنه **!**.

إن شكري مصطفى سيؤسس جماعة ترى الهجرة ، واعتزال الناس ، وعدم الصلاة في المساجد المنتشرة سوى المساجد الثلاثة ، كون الباقية مساجد ضرار ، سيصل بها إلى قتل حسين الذهبي الذي وصل إلى مرتبة وزير للأوقاف ، ولما سئل شكري عن الذهبي في التحقيق قال **"**هو عندي كافر **" !** ، مع نفيه أنه أصدر أمراً مباشراً بقتل الرجل .

ويتم التعامل مع هذا الحدث على أنه مؤامرة ، التي تظل حاضرة طول تاريخ الجماعات الإسلامية ، وسيأتي الحديث عنها بفصل مستقل إن شاء الله .

واعتبار شكري نتاج مآمرة من نظام السادات كان فحوى كتاب محمد بن سرور الذي ينسب إليه التيار السروري أو الصحوي ، في كتابه (**الحكم بغير ما أنزل الله وظاهرة الغلو**) فيعتبر الأمر مخططاً مستغلاً أكبر من وجود مشكلة حقيقية في الأنظمة الخطابية التي نشأت في أحضانها هذه الظاهرة .

سيد قطب سيتم إعادة إنتاجه في كتابات متنوعة وكثيرة .

وفي حيز آخر سيشغل القرضاوي مخيلة عند عدد من النخبة في التيار الإخواني ، فمن (**فقه الغناء والموسيقى**) الذي يجيز فيه تبعاً لعدد من الفقهاء المتقدمين المعازف والألحان ، إلى استقرار موضوع المشاركة البرلمانية بالإجازة كما في كتابه (**فتاوى معاصرة**) ، إلى عدم ممانعة الاستفادة من الآخرين كماركس وغيره في كتابه (**ثقافتنا**) ، إلى اعتبار المواطنة لغير المسلمين في المجتمع المسلم بدل اسم أهل الذمة ، وبدل الجزية تعتبر ضريبة ، وبدل مخاطبة غير المسلمين بالكفار يقال عنهم غير المسلمين كما في كتابه (**خطابنا في عصر العولمة**) إلى إجازته استمرار الحياة الزواجية بين المسلمة وزوجها الكافر بناء على عقدهما قبل إسلامها كما في كتابه (**فقه الأقليات**) ، وإجازته استقراض الربا لمصلحة شراء منزل في أوربا ونحو ذلك فكل هذا كان حاضراً في مخيلة كثير من النخبة الإخوانية إن صح الوصف بذا .

في نفس الوقت كانت التربية الإخوانية للشباب تعيش على كتابات سيد قطب ، الأمر يذكرنا بكلمات نقدية لميلوفان ديجلاس في كتابه (**الطبقة الجديدة**) في نقده للحزب الشيوعي اليوغسلافي ، أن المنع للقاعدة الحزبية ، لا ينطبق على النخبة الحزبية .

فشيء متوقع أن ترى حدية في الشباب المتحمس أسفل الهرم التنظيمي ، يحتد لوجود الاختلاط ، ويقضي وقته بالقرآن وقراءته وسماع شيء من الأناشيد التي قد تكون جهادية ، مع حرص على كتابات سيد قطب ، ويحتد على الجاهلية التي تنشر الربا والضلال .

في حين أن الأمر في الجهة العليا من الهرم يختلف عن هذا ، فسماع الغناء لا بأس به ولعله يطرب لأم كلثوم وعبد الحليم ، ولا يرى إشكالية في التعامل مع الربا لمصلحة الجماعة كما في فتوى الراشد ، ولا بأس بمصافحة المرأة لحاجة المجاملة ، ونحو هذا .

ويخيل للمتابع أن رأس الهرم لو انفصل عن قاعدته لوجد عندنا تياران متصادمان **!** .

إلا أن الخليط غير المتجانس ، وعدم وجود منظومة واحدة متسقة ، تحيي الخلافات القديمة داخل الإخوان ، ولا غرابة أن تجد عمر الأشقر على أنه سلفي ، وسعيد حوى ، وعبد الفتاح أبو غدة كأشعرية ، ومحمد عمارة كمعتزلي ، ونحو هذا .

وتجد في شباب الإخوان من يقول لو كان أصبعي سلفياً لقطعته ، والعكس صحيح فيما يتعلق بالسلفية .

إن القرضاوي حاول أن يكسب جميع الأطراف نظرياً بعدم رفضه التأويل والإثبات تماماً باتساق حتى لا ينحاز إلى كتلة في الجماعة دون أخرى ، بل سعى لاحتواء الجميع ، فأيها الأشعري إننا نؤول البعض وأيها السلفي نثبت البعض ، وما اختلفنا به سيكون للتفويض فيه مجال .

إننا هنا أمام براجماتية نوعاً ما لاحتواء أكبر قدر ممكن داخل المنظومة الواحدة ، وأمام الخصوم سيتكلم سيد قطب ، ووقت المصالحة سيتكلم الغنوشي ، وقت الحرب سيستنفر عزام ، ووقت السلم سيتم الحديث عن الهدنة المطلقة **!** .

سيقال عن العرب في قمتهم لم يقوموا إلى الصلاة وقد حان وقتها كما سينقد الغزالي ، وسيقول الراشد بجواز الجمع بين الصلوات للمصلحة في الاجتماعات التنظيمية الإخوانية .

سيقال فترة الخلاف مع الشيعية بأن سعيد حوى كتب (**الخمينية شذوذ في العقائد شذوذ في المواقف**) ، أو أن الخلاف فرعي ولا يتعلق بالأصول كما في كتابات القرضاوي المتقدمة ، وتصريحات مكتب الإرشاد فترة حرب حزب الله مع إسرائيل .

إن الجامع الأساسي بين أفراد التنظيم المختلفين التزام القرار الجماعي وتنفيذه ، حتى لو خالف ، فالمهم إظهار الولاء للجماعة وخطاباتها .

ومع غياب التأريخ النقدي يتم التعامل مع الجماعة على أنها شيء يتعالى على التاريخ ، وأن تاريخها القديم مليء بالحكمة لا الارتجالية ، والتخطيط بدل التخبط ، والوئام بدل الخلاف .

ويتم التعامل مع الاختلافات مثلاً في موضوع مشاركة المرأة في الانتخابات الذي كان البنا رافضاً له ، ورفض أيضاً التعددية الحزبية ، إلى الخلاف مع الموضوعين ، وعدم رفض وجود حزب شيوعي في الانتخابات كما ساد في مخيلة النخبة الإخوانية وفتاوى القرضاوي على أنها خلافات تنوع لا تضاد .

أو أن الزمان هو من لعب لعبته في تغيير الأمر والنظر إليه .

على أن هذا التنوع لا يسير بخط مستقيم كما قد يحسب الناظر لوهلة ، فإن كل الخطابات يتم زجها مرة واحدة لإعطاء السامع ما يريد ، كله في نفس الوقت ، فسيد قطب لا ينتهي داخل الجماعة ، ولا عزام وفي نفس الوقت لا ينتهي القرضاوي ، والغنوشي ، وفتحي يكن .

إن سعيد حوى يذكر في مذكراته أنه كان في صباه متشدداً ، بل شارك هو ومجموعة من الشباب بمهاجمة بعض الإفراح التي تستعمل المعازف ، هذه كلها ليست مرحلة منتهية من فترة الشباب ، فمجموع الخطاب الذي يفتقد النقد الصريح العلني بأمر من القيادة العليا ، يسمح بوجود سعيد حوى في كل مراحله العمرية داخل الجماعة .

وهذا يظهر الارتجالية والتشرذم في المخيلة ، وفقدان أي منظومة حقيقية يمكن أن توصف بأنها الإخوان بحق ، إنها كل هذا ، وغيره بطبيعة الحال **!** .

إنه خطاب يسمح بأن يفسر عزام وفق الأصل العشرين من أصول البنا تكفير الأنظمة التي تحكم بالقانون الوضعي ، وفي نفس الوقت يفتح المجال لأسلمتها كما يقول كثير من الإخوان من أيام كتاب **(دعاة لا قضاة)** ، وطاعتها ، أو الخروج المسلح عليها كما سعى إليه الراشد في **(المسار)** ، إنه خطاب يسمح بتخوين نظام كامل بسبب كامب ديفد ، ويسمح في الوقت نفسه بتفهم احترام تلك الاتفاقية ، مع رسالة مرسي **"**عزيزي بيرس **" !** مما نقده محمد حبيب الذي أمضى أكثر من 3 عقود في صفوفهم في كتابه **(الإخوان المسلمون بين الصعود والرئاسة وتآكل الشرعية)** .

وليس الحديث هنا عن مطالبة بجنون فوضوي ، بل بسقف صادق مع الجماهير بدل الشعارات الطوباوية **!** .

*إسكات : قد يقول قائل بسجع إنشائي هنا ما فحواه : ليس من المروءة الحديث عن قوم مضطهدين اليوم **!**

وهذا كلام لا وزن له كما سبق فالمهم هل النقد صحيح أم لا ، وعلى وزنه يعارض بأن القرضاوي كان قد أفتى بجواز الدخول في الجيش الأمريكي بعد 11 سبتمر في الحملة على أفغانستان ، هو ومحمد سعيد العوا ، وطه جابر العلواني ، واعتذر عن هذا بعد ذلك بأنه كان يحسب أن التجنيد في أمريكا إجباري ، ثم اكتشف أنه ليس إجبارياً **!** كما في كتابه : **(الفتاوى الشاذة)** .

وهذا يتم تفهمه في صفوفهم ، وللقرضاوي منزلة كبيرة عندهم ، إذن هذه بتلك وليست بوزنها فللمارينز ثقل**!**.

السلفية .. والقوالب !

في حين كان الإخوان يفاخرون غيرهم من الجماعات بتاريخهم الضارب في القدم ، وتقديم التضحيات والأسرى والشهداء ، والمشاركة العملية في معارك ومصادمات مع النظام ، كان السلفيون يفخرون بأنهم رواد العلم الشرعي ، والتحقيق ، وتخريج الأحاديث .

فالألباني قد ملأ اسمه الكتب المطبوعة في حواشي التخريج ، كيف لا ؟ ، وهو صاحب السلسلة (**الصحيحة**) و(**الضعيفة**) .

إن الوادعي سيكون محتداً ضد الإخوان ، بل يكتب كتابه (**إسكات الكلب العاوي يوسف القرضاوي**) **!** ، في بيان لشيء من عنف اللغة مع المخالف ، فذلك مهرطق ، وذلك زنديق ، وآخر كلب .

وقد كان السقاف منهمكاً في نقد الألباني لدرجة أنه ألف رسالة (**معجم شتائم الألباني**) **!** .

وبعيداً عن المزايدة الأخلاقية ، بين التيارات والجماعات ، فإن النزعة الظاهرية في تيار الألباني كانت بادية لدرجة أن القرضاوي كان يلمز فقههم بـ **"**فقه الظاهرية الجدد**"** .

إلا أن واقع الحال ، أن التيار السلفي كاصطلاح يتنازعه تياران أساسيان ، واحد مذهبي ، وآخر لا يرى التمذهب ويتزعمه الألباني .

أما الذي يرى التمذهب فهو أقرب إلى الحنبلية واختيارات ابن تيمية كابن باز والعثيمين ، وقد أظهر العثيمين عبر محاضراته كشرحه (**لزاد المستقنع**) انفتاحاً نسبياً على المذاهب المتنوعة ، وعدم انغلاق داخل المذهب الواحد .

إلا أن التيار السلفي الألباني ، والذي تنازع على وراثته بعد وفاة الألباني عدة أشخاص كالمدخلي ، والحلبي ، وغيرهما ، ساد فيه بحق غياب المنظومات المذهبية والأصولية وهو نقد وجهه سعيد حوى إليه وكان قريباً إلى الصواب في هذا .

أما التيار الذي يرى التمذهب ، فهو يفتقد للنظرية المتماسكة المعبرة عنه على الصعيد الفلسفي ، وقد بلغ النفور من الكلام والفلسفة فيه شيئاً كبيراً .

وكأمر ملاحظ فإن أهم كتابات ابن تيمية على صعيد الفلسفة كانت تصدر بشكل متأخر وأحياناً بمحقق مستورد من الخارج **!** كمحمد رشاد سالم .

ومن الملاحظ أن التيار المذهبي اعتنى بشرح المتون الفقهية الحنبلية ، بخلاف التيار الثاني الذي كان عاماً ومشتتاً في طرحه .

لقد كان هناك اعتناء بالجانب العقائدي ، لتدرجة التضخم أحياناً كثيرة على حساب غيره ، ومن الملاحظ أن هناك إنجازات في تحقيق عدد من المخطوطات ، ونشر شيء من كتب التراث ، وقد أبدع أحمد شاكر في تحقيقه (**رسالة**) الشافعي ، و(**جماع العلم**) ونشرها ، كما أن اعتناء السلفيين بتراث ابن تيمية كان ملاحظاً وجهدهم جيد في هذا الجانب .

إلا أن قلة الاطلاع في الجانب الواقعي دفعهم إلى التخليط في هذا الجانب ، مثل فتوى الألباني بهجرة أهل فلسطين من دار الحرب بعد الاحتلال ثم العودة لتحريرها ، والتي بررها إبراهيم شقرة في رسالة مستقلة له

في حياة الألباني قدم لها الألباني نفسه وهي (**ماذا ينقمون من الشيخ الألباني؟**) ، ثم عاد وانتقد موقف الألباني في لقائه مع عزام التميمي في برنامج (**مراجعات**).

إن التيار السلفي بشكل عام عاش في موضوع طاعة ولي الأمر وعدم الخروج عنه إلا بكفر بواح مع القدرة على التغيير ، دون وجود مفاسد أكبر من عدم الخروج .

مع أن ابن تيمية له قول مهم في (**مجموع الفتاوى**) لا يكاد يوجد له أي صدى في الأوساط السلفية ، وهو التفريق بين ولي الأمر العدل والفاسق ، فالعدل يطاع ما لم يعلم أنه أمر بمعصية ، والفاسق لا يطاع إلا فيما يتحقق أنه طاعة **!** .

ووجدت بعض القوالب الجامدة حفت التيار السلفي مثل تحريم التصوير ، والذي أضحى الحديث عنه نشيطاً كأنه حديث في التوحيد ، لا في مسألة فقهية تتجاذبها الأنظار في أحسن الأحوال ، على أن قول من قال بتحريم التصوير الفوتوغرافي آخذاً ذلك من منطوق حديث لعن المصورين فقد أبعد النجعة .

إلى التشدد في مسائل مثل لبس الحزام على الوسط كما في الزي العسكري **!** وفي كتاب (**منهج الطائفة المنصورة**) لمحمد جميل زينو ينهى عنه لأنه تشبه بالمشركين كونه يشبه زنار رهبان النصارى **!** .

إلى كراهية الأكل بالملاعق كما قال التويجري ، ونفي الجاذبية الأرضية ، بل ونفي أن الأرض أصغر من الشمس كون السلف لم يقولوا ذلك .

إنه انغلاق ساحق ، وفي مناظرة للألباني مع رجل يلبس ساعته بالشمال يقول له يفترض أن أعاملك كما عامل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من لبس خاتم ذهب ، رماه به ولو أصابه لآذاه **!**.

فلمجرد رأي الألباني بأفضلية لبسها باليمين **!** مع أن العثيمين مثلاً يخالفه فيقيسها على لبس النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاتمه بالشمال **!** ، المهم لمجرد رأيه بأفضلية ذلك يتحدث عن حادث متعلق بتحريم الذهب على الرجال .

كذلك يظهر في الألباني تشدد فيطالب خصمه بالدليل حتى في مسائل الأصل فيها الأباحة ، لا أنه هو المطالب بدليل المنع كمناظرة جرت بينه وبين رجل من التبليغ يطالبه بدليل على خروجهم إلى بلدان متنوعة **!** .

إلى منشورات كثيرة في المناهي اللفظية ، بل من العجب فتوى للجنة الدائمة ترى كراهية قول القائل لغيره دمتم لأنه لا يدوم شيء إلا الله **!** .

والأصل حمل أقوال الناس على أصح الاحتمالات لا أسوأ الافتراضات فكيف بالتمحلات **!**.

ومن أفظع ما يمكن أن يقال ما تجده في أواخر (**الدرر السنية في الأجوبة النجدية**) من فتاوى ترى عدم وجوب توفير أدوات الإسعاف الأولية على رب العمل للحفاظ على صحة العمال **!**

وأن من الظلم بنظرهم إعطاء العامل أتعابه ، أو إصابة عمل ، أو إجازة مدفوعة الثمن فذلك كله من الحكم بغير ما أنزل الله ومن القوانين الوضعية **!** .

إنه انحياز تام إلى الرأسمال بأبشع صور الاستغلال التاريخي الذي تفننت الكتابات الاشتراكية في تصوير مظالمه **!** .

لقد غلفت التيارات السلفية المتنوعة بصورها المستقرة والمتكررة قوالب مثل التوحد بين أقوال المتأخرين منهم والسلف الصالح **!** .

وعدم وجود مراتب للأحكام ، فليس الحرام واحداً ، ولا الوجوب ، ولا البدعة ، ولا الخطأ .

ومع أهمية ما طرحوه على الصعيد المعرفي الشرعي إلا أنه يظل طرحاً أقرب للطرح الأكاديمي منه إلى الحياة الواقعية في جوانب كثيرة ، فمجهوداتهم المعرفية تنقصها تماماً رؤية للواقع .

ومن الأمثلة على هذا أن ابن باز لم يطالع منهاج السعودية التعليمية ، والتي كتب كثيراً منها الإخوان بعد احتوائهم في المملكة ، فأين الاطلاع على الواقع إن كان هذا حال المفتي وقتها ، ولما يسأل عن الإخوان يقول يقال عندهم قصور في الاهتمام بالتوحيد **!** .

إن هذا يدفع عبد الله عزام ليقرأ عليه كتاب (**الإيمان**) لمحمد نعيم ياسين ، ليقول له عزام بعد ثناء ابن باز على الكتاب ، إن هذه هي عقيدة الإخوان المسلمين جميعاً .

وبطبيعة الحال لم يصدق عبد الله عزام ، فليس كتاب الإيمان عقيدة لجميع الإخوان بمن فيهم عبد الفتاح أبو غدة ، وسعيد حوى ، بل حسن البنا نفسه لم يكن ليقول كثيراً مما جاء في كتاب الإيمان ، ولكنه مغازلة للسلفيين فحسب لكسب ودهم .

إن انغلاق السلفيين دوماً كان لمصلحة خصومهم وليس لمصلحتهم هم ، مما جعل غيرهم يستثمرهم ، ونستطيع أن نرى وجود بعض ممن يردد مصطلحات سلفية داخل الإخوان ، ولا يكاد يوجد نموذج سلفي في الحياة العملية والسياسية يشار له بالبنان ، بل غالباً ما يتهم احتوائهم أو إثارة جنون التيارات السلفية ، وبالجهتين يمكن استثمارها **!** .

كما أن خرافة وحدة المنهج بين السلفيين تسود ، وهي محض خرافة ، فليس منهج الألباني غير المتمذهب في الفقه ، الذي هو أقرب فيه إلى الظاهرية في عدد كبير من المسائل ، مثل منهج ابن عثيمين فيه ، بل حتى الخلافات وصلت إلى العقائد مثل خلاف الألباني مع ابن باز والتويجري في حديث خلق الله آدم على صورة الرحمن ، وليس هذا من خلاف التنوع بل التضاد بحق ، وليس هذا مقام بسط هذا .

إن عداء السلفيين للتقليد متفاوت ، فالمتمذهب لا يرى بأساً بخلاف التيار الآخر ، فتجده حرباً شعواء على التقليد ، وفي الواقع هو في التقليد المغلف باتباع السنة وهو مقلد للألباني في أكثره ، فكيف إن وصل الأمر إلى الفقه وغيرها .

كما أن من أهم الرواسب الأشعرية في كثير من التيارات السلفية "نفي التحسين والتقبيح العقلي" فدون الوحي لا نعرف حقاً من باطل ، ولا حرمة قتل بريء ولا حسن إطعام جائع في كثير من الخطابات السلفية .

وعبر وميض بسيط مما وصلنا من كتابات تتعرض للخلافات بين الألباني وابن باز في غير الفقه والعقائد ، فإن الألباني باعترافه كان مع الإخوان في سوريا لكنه ليس منهم ، ثم جاء إلى السعودية ، وكشهادة نادرة قدمها ناصر الحزيمي في كتابه (**أيام مع جهيمان**) يطلعنا عن اجتماعات سرية بين جهيمان والألباني ، والتي حذر الألباني جهيمان من اطلاع ابن باز على كثير من الأمور .

وهذه الشهادة تبين شيئاً من التوجه عند الألباني لربما للتحرك في طريق معين له بعد سياسي ما ، وقد تم إبعداه عن التعليم في المملكة ، وبقي مختلفاً مع ابن باز حول الاستعانة بالأمريكان ، ويظهر أنه كان قد عدل عن أي توجه فيه تحرك سياسي بعد مأساة جهيمان .

إن من أخطر ما غلف الوعي العام السلفي الانحصار في كثير من المسائل في ثنائية "سنة ، بدعة " ، مع إمكانية وجود ما هو لا سنة ولا بدعة ، كالمباحات في المسائل العادية التي لا تعتبر تعبداً .

فتجد حدية مثلاً فيما يخص السبحة على أنها فعل تعبدي عند كثيرين ، مع أنها في واقع الحال أداة للعد ، وليس للتسبيح ، وبذا لا يرى ابن تيمية بدعيتها ، بخلاف تيار الألباني ، وعدد لا بأس به من السعودية كبكر أبو زيد وله رسالة **(السبحة)** .

أما الوعي السياسي فكان غالباً ضعيفاً ينظر بقوالب جاهزة ، ومن ذلك نقد الألباني لجبهة الإنقاذ الجزائرية فيما يخص اللحية والثوب **!** ، ولم يكن في جعبته أي نقد على برنامجهم السياسي الذي اعتبر أنه جيد ، ويعبر عن خبرة وفي الواقع فقد كان برنامجهم عاماً لدرجة يتفق في عناوينها الجميع دون تفصيل حقيقي يميزها .

إن وجود سلفيين في أفغانستان أظهر عمق الخلاف بين التيارات ، فيذكر عزام شيئاً من الحوادث التي وصلت إلى رفع السلاح بين "المجاهدين" أنفسهم بحجة أن واحداً علق تميمة ، والآخر رآها شركاً ، كذلك أبو جعفر القندهاري في كتابه **(ذكريات عربي أفغاني)** والذي يطلعنا على عدة مشاكل حقيقية منها :

1 – وجود من تساهل بالدماء ، بحجة الكفر .

2 – استغلال المقاتلين لحسابات قبلية دون وعي منهم ، فيذكر أن قائده بعثه مع غيره للقتال في منطقة والتي اكتشفوا أنها تابعة لقائد آخر يريد منهم قتاله **!** .

3 – فتاوى من أفغان بقتال الوهابية .

ومن الحوادث المهمة التي نبهت لشيء بعد هذا اغتيال جميل الرحمن وهو زعيم لجماعة سلفية ، على يد رجل اسمه " عبد الله الرومي " عرف بانتمائه للإخوان ، مع محاولات لاحتواء الأمر على أنه فردي ، إلا أن صداه سيصل إلى اليمن ويكتب الوادعي رسالته **(مقتل جميل الرحمن)** والتي يحيل عليها الحلبي من الأردن .

الهجين ..

إنه سلفي إخواني ، ذلك الذي تربى على كتب الإخوان وفي نفس الوقت المدرسة السلفية ، ويلمع عدة أسماء في هذا المضمار أهمها سلمان العودة والذي كان قد خفف من لهجته وغير بعض الجزئيات فيما تعرض له بالدراسة تركي الدخيل (**سلمان العودة من السجن إلى التنوير**) ، وكان أبو مصعب السوري يقول عنه " سلمان رزقه الله العودة " ! ، وسفر الحوالي ، كتبات الأخير تعد مؤثرة في صياغة كثير من الوعي السلفي المهووس بالمؤامرة ، فمن بروتوكولات حكماء صهيون المنحولة المبتذلة ، والتي يظهر أن كاتبها كان من أنصار القيصرية الروسية وسعى للتنفير عن الثورة الاشتراكية المنافسة واللعب على العنصرية ضد اليهود .

إلى مآمرات الماسونية الخفية ، ونحو ذلك مما عطل أي قدرة حقيقية على التحليل السياسي ، مع أنهم طرحوا أنفسهم كناقدين للمنهج السلفي الكلاسيكي بصفته منعزلاً عن الواقع .

تمثل الصحوة لربما وسطاً بين جهيمان العتيبي وما تلاه من الحركات السلفية الجهادية ، فرجل مثل المقدسي كان من أتباع جهيمان ، وصنف وقتها كتابه (**إعداد القادة الفوارس بهجر فساد المدارس**) كان محتداً على دروس الرسم لذوات الأرواح في المدراس ، والحل بنظره هجر المدارس والعودة إلى الكتاتيب **!** ، أو بعبارة أخرى الرجوع بالزمن إلى الوراء **!**.

ثم صار من أتباع محمد بن سرور الذي كان إخوانياً في سوريا ، ثم صار أميل للسلفية في السعودية قبل طرده منها ، واستقراره في الأردن .

خطاب المقدسي حوى شقاً إخوانياً وآخر سلفياً يقتات على التراث التيمي ، والسلفي عموماً مع استشهادات بسيد قطب كما في كتابه (**ملة إبراهيم**) ، الأمر الذي كان ظاهراً في رسائل سفر الحوالي التي أشرف عليها محمد قطب (**العلمانية**) ، (**وظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي**) .

إن هذا الهجين سيركب مصطلحات الحاكمية مع تراث حافل في الحديث عن الشرك والكفر والتوحيد ، إلا أنه ينحصر في الواقع بصياغة المقدسي له في "البرلمانات" والأنظمة ، دون أي نموذج فقهي وأطر تشمل الجوانب الأخرى في الحياة .

إنه يخاطب قوماً في شق خاص ، وهذا ما قد يفسر نواعاً ما عدم انتشار أفكار المقدسي في كثير من الدول التي لا يهتم فيها الشعب بالسياسة ، وانتشار أفكاره في الدول التي يحدث فيها أزمات سياسية حادة مع النظام ، إنه منحصر في جانب الحكم ويفرغ حمولته في هذا الجانب .

قد يعتبر عزام فرعاً في هذا ، فكما سبق لا يمكن اعتبار الواقع منفصلاً ، بل يؤثر بعضه في بعض .

عزام الذي كان يعتبر نفسه سلفياً وفي نفس الوقت ، لا يعتبر نفسه ليس إخوانياً بل هما سوياً ، سيكون لأفكاره اتحاد مع سيد قطب ومحمد قطب وتنتج مضمون ما يقوله المقدسي .

والمقدسي يفتح المجال عبر منظومته لخطاب عزام وإن لم يكن يشير إليه .

يمتدح عزام التوغل في الأراضي الروسية ، وذبح الجنود المأسورين بالسكين ، في كتابه (**عبر وبصائر للجهاد في الوقت الحاضر**) .

وهذا التفاعل سيؤدي فيما بعد فيما يمكن تسميته حالة الانسداد التي وصلت إليها التيارات السلفية الجهادية عند الحديث عن داعش .

الخطوط العريضة تم رسمها بهؤلاء ، وبقي تفاصيل صغيرة يكملها عدد من الكتاب الذين ليسوا بتلك الشهرة .

وفي وثائق "أبوت أباد" وهي الوثائق التي سمحت بنشرها الإدارة الأمريكية ، والتي عثر عليها في مخبأ بن لادن ، يوجد وثيقة لعزام الأمريكي يتحدث فيها عن تيار رأى تفجير المساجد بسبب كلام قطب عن مساجد الضرار في كتابه (**في ظلال القرآن**) .

يوجد وثيقة تتحدث عن كتاب (**نقاط الارتكاز بين سيد قطب وبن لادن**) الذي قدم له المقدسي ، وهو كتاب ألفه رجل يدعى "عبد الرحمن المصري" ، حاول فيه أن يجمع بين سيد قطب ومحمد بن عبد الوهاب ، ليقول بان الدولة العثمانية كانت واقعة في "شرك النسك" ، وفي نفس الوقت زال الإسلام عن حكم الأرض بسقوطها **!** ، وينشره موقع "التوحيد والجهاد" الذي ينشر نفسه كتاباً لناصر الفهد (**الدولة العثمانية وموقف ائمة الدعوة منها**) ينتهي بتكفير تلك الدولة **!** فدولة عندهم كافرة ، زال الإسلام في نفس الوقت عن الحكم بزوالها **!** .

وفي مثالية حالمة يرى أن الإسلاميين الذين وقعوا في أنصاف الطرق يمكن أن يصوبوا مسارهم بالتنبيه **!** ، ولم تخل الوثائق من بيان سذاجة الطرح ، مثلاً ينتقد مروان حديد كونه جر على سوريا ما لا يحتمله الناس ، وكأن خصومه من تبجحوا بخطف الطائرات وجروا على أفغانستان طائرات بي 52 **!** .

إن حديثه عن المصالح والمفاسد كأنه في غرفة ، وفعله نفسه في غرفة ذهنية أخرى ، ينقصه ربط هذا بذاك بدل الفصام **!** ، وهذا يبين نقطة مهمة وهي عدم الاكتفاء بالحذلقات حول تعليق الأمر بالمصلحة مطلقاً دون بيان ما هي المصلحة المقصودة **!** ، وكيف يتم تحديدها .

لقد تذمر بن لادن من تفلت التنظيمات التي عملت باسمه ، ولم يكن عنده أي مشكلة فيما يحسب أنه إشكالية فكرية ، كل ما هنالك بنظره أن المشاكل "سلوكية" من تلك التيارات ، لقد وجد في الوثائق تذمر من " دولة العراق الإسلامية" قبل أن تمتد إلى الشام ، وتختصر في الإعلام بداعش .

إن مشكلة الفوضوية قائمة منذ القدم ، عبر عنها عبد الله عزام في كتابه (**الدفاع عن بلاد المسلمين أهم الفروض الأعيان**) ، إن النفير بنظره إلى أفغانستان لا إذن فيه لأحد على أحد اعتماداً على فتاوى تقول بوجود خروج الابن دون إذن أبيه ، والمرأة دون إذن زوجها ، موضوع المرأة هذا سينفجر فيما بعد بشكل أوضح في خطابات داعش .

على أي حال فالخروج إلى أفغانستان لم يكن يحتاج إلى إذن أحد ، والسؤال وهل البقاء في المعسكر يحتاج إذناً؟ في الواقع كانوا يتفلتون من التدريب للذهاب إلى الجبهات المشتعلة أيام المعارك مع السوفييت **!** ، إن الأمر يتسلسل كمشكلة إلى أن يصل إلى الفرد نفسه ، وهذا يعني انهيار أي انضباط جماعي .

إن الفتاوى التي اعتمدها عزام تتحدث عن تصور تابع للتلك القرون ، بوجود النفير للانخراط في جيش الإمام ، أي تجنيد إجباري ، وليس قتالاً إجبارياً والتنبه لهذا مهم جداً .

ففي (**المغني**) لابن قدامة بعد ذكره وجوب النفير ، يمنع الافتيات على الإمام بعد الانخراط في جيشه .

إن عدم التفريق بين التجنيد الإجباري والقتال الاجباري فتح الباب للفوضوية على أوسع أبوابها ، بل فصل فعل القتال كفعل عنيف في أدوات السياسة لتحقيق مقصد سياسي ، إلى غرض بذاته ، بل فعل تعبدي كالصلاة **!**.

وإن كان فقهاء "الحنابلة" مثلاً يذكرون الجهاد بعد أبواب العبادات لشبهه بالعبادات ، واعتباره ذروة سنام الإسلام ، إلا أن هذا لا يعني إلغاء التعليل ، والمقاصد المعتبرة في المعاملات .

فأصله فرض كفائي ، والكفائي الغرض منه تحقيق المفعول دون كيفية الفعل ما لم يكن تعبدياً كصلاة الجنازة .

ومن كلماته في تلك الوثائق (الشعبية للحركة ، كالماء للسمكة) ، وهذا يبين الانهماك في العمل نفسه ، دون وجود البناء النظري المتسق ، فهو يتغافل عن أهم شرط لأي حركة (النظرية) ، وقد صدق لينين بقوله : لا حركة ثورية ، دون نظرية ثورية ، فكل عمل دون نظرية ما هو إلا خبط عشواء ، وغضبة أعمى جهول **!**.

إن من الأسماء التي لمعت فترة ما في التيارات الجهادية " عبد المنعم مصطفى حليمة : أبو بصير الطرطوسي" ، وله عدة كتب منها (**الطاغوت**) ، و(**قواعد في التكفير**) .

قبل أن يسوق لنفسه على أنه معتدل في برنامج عزام التميمي "مراجعات".

فقد كانت أقواله تصب في مسار داعش فيما بعد ، إلا أنه لم يلتزم نتائج كلامه إلى آخر نتائجه المنطقية .

إن طرح في هذه الكتابات يتم إعادة إنتاجه مراراً وتكراراً في كتابات متأخرة ، مثل كتاب (**العلمانية من الداخل**) للبشير المراكشي ، الذي لا يحوي أي فكرة زيادة على ما طرح عند هؤلاء .

يبرز من الأسماء التي تريد تفعيل ما سبق بوضع استراتيجية له : أبو مصعب السوري ، بكتابه : (**دعوة المقاومة الإسلامية العالمية**) .

ومن أهم ما طرحه فيه :

1 – أن الإخوان الأوائل كانوا على خير كحسن البنا .

2 – أن الأفغان على عقيدة صحيحة وإن قيل أنهم أحناف ماتريديون فهم من جاهد ودافع عن الدين ، وهذا يبين الخلط بين الجانب العملي والتقييم النظري .

3 – الدعوة لدراسة شرح الواسطية للعثيمين .

ثم أفكار تخص الثورة العالمية بنظره ، ومحصلها حالة من الفوضى العامة ، فيما يذكرنا بطرح تروتسكي وإن لم يكن على مستواه من التنظير ، بعدم الانحصار في بلد والاهتمام بتنميته بل تصدير الثورة إلى بلدان أخرى وأخرى **!** .

ويرى عدم الانغلاق في جانب التأصيل كالحكم بغير ما أنزل الله ، وموالاة الأعداء ، ليلتفت إلى ما يخص حياة الناس فيما يذكرنا بالشعارات اليسارية عموماً بالاهتمام بالتفاوت الطبقي والظلم والترهل في الدول التي يجري فيها العمل .

ويسعى السوري لتحييد أكبر عدد ممكن من الأعداء ، ويغفل في طوباوية أن استهداف مصالح دول غربية بالطريقة التي يطرحها سيمس مصالح طبقات وفئات في المجتمع ستنحاز إلى ماصالحها ، وتقف ضده ، وما أن تقف ضده سيقف هو ضدها ، وأي عداء مع هذه الطبقات المحلية ، يستدعي بالضرورة الواقعية مس بفئات أخرى مرتبطة بها ، وهكذا ليجد أن تحييده الذي نظر له ليس إلى محض حديث نفس **!** .

إنه يدعو لعمل أقرب إلى الفردي منه إلى الجماعي المنضبط ، وهذا يعني تفلت التصرفات عن السيطرة ، وعن الضبط ، مما يجعل للثأرية مجال كبير ، وهذا ما يؤدي إلى فوضى عارمة .

إن هذا الخط حكمته الارتجالية والتبرير إلى حد كبير ، فمن الهوس بالحتمية الحديثية للمهدي عند جهيمان وجماعته ، إلى الحتمية في المؤامرة عند سفر ، إلى اتحادهما في خط داعش ، لتصير حتمية أحاديث آخر الزمان ، والدندنة المستمرة حول "دابق" المتعلقة بملاحم آخر الزمان في الشام .

قبل داعش كان الحراك القتالي في السعودية يفرز كتابات ستصوغ التيارات الجهادية فيما بعد بشكل أعنف ، فمن العييري صاحب كتاب (**إرشاد الحيارى بجواز قتل الأسارى**) إلى الأزدي : فارس آل شويل (**الباحث عن حكم قتل المباحث**) إلى غيرها من المحاضرات والإصدارات .

كانت كتابات الظواهري أيضاً عاملاً في صياغة المخيلة العامة القتالية فمن كتابه "**الحصاد المر**" الذي يحتد فيه بنقد الإخوان ، ويستثني سيد قطب من نقده بطبيعة الحال .

ليصل أن الواجب تكفير النظام ، وتحقيق الجهاد المتعين ، وهذا يصب في باب الفوضوية التي كتب عنها السوري ، ويسمي بعضهم وأحسبه أبا قتادة الفلسطيني الظواهري بـ "حكيم الحركة الإسلامية" **!** ، بعض كتبه كانت تنشر باسم "أيمن الحكيم" تفادياً للرقابة **!**

الظواهري الي أصدر شريطاً فترة قتال حزب الله لإسرائيل يتحدث فيه عن أحفاد علي والحسين ووحدة المستضعفين **!** يظهر أنه لم يكن يسحب التأصيلات السلفية السائدة عن الرافضة ، ويهيء لخلاف حقيقي بعد بن لادن داخل التيارات القتالية المنتسبة إلى السلفية .

إن التيارات السلفية المنفتحة على الإخوان كانت تتهاوى واحدة تلو الأخرى ، فجهيمان ، الذي كان يراقب الأخوان ، ويرى أنه حان الأوان لإعطاء نموذج "سلفي" في المحن والسجون ونحو ذلك ، بل إن بيئته وثقافة من معه لم تخل من الاطلاع على التراث الإخواني كما يذكر ناصر الحزيمي .

ثم التيار السروري الذي اصطدم بالواقع وبدأت شعارات أفراده تنحو نحو الإنفتاح أكثر ، بل نحو ما كانوا يعيبونه على الإخوان كابن سرور نفسه .

ثم التيار المقدسي والطرطوسي ، والذي بدأ نجمه يأفل مع تصاعد داعش .

إنها تتهاوى ولكنها تسلم بذرتها لمن بعدها ، ليكون أعنف ، وليقول في وجه سابقيه ما قالوه هم لغيرهم ، بتهم تصل إلى الخيانة والتكفير **!**.

من بين الأسماء التي ستعرف في التيارات الجهادية "عبد القادر عبد العزيز" وهو اسم مستعار لرجل اسمه سيد إمام ، الذي كتب (**العمدة في إعداد العدة**) ، و(**الجامع في طلب العلم الشريف**) ، وهو الذي تفجر خلافه مع الظواهري في (**التعرية**) ، ليرد عليه الأخير (**بالتبرئة**) .

هذا الرجل وهو طبيب ، وهذا أمر ملاحظ في التيارات الجهادية **"**غلبة التخصصات العلمية **"** ، فالمقدسي يقول إن تخصصه كان علمياً في الثانوية العامة ، الظواهري طبيب ، سيد إمام طبيب مما يبين غياب التفكير الفلسفي عدو القوالب الجاهزة والشعارات العاطفية والتعميمات دون تسلسل نظري سليم .

وقد لاحظ هذا الأمر أركون ، وبعده أوليفيه راوا بغلبة التخصصات العلمية على تلك التيارات .

كان الخلاف مع الظواهري قديماً فالرجل يشعل خلافه قديماً مع جماعة الجهاد التي رأى أنها سطت على كتبه ، وغيرت عناوينها وأسماءها لتنشرها باسمها **!**.

وكان الظواهري زعيماً لهذه الجماعة ، إنه يرى بحق غياب منهج حقيقي في الجماعات الجهادية ، الأمر الذي لا يعفيه هو من النقد ، فكتبه كانت بحدية عقدية لا تلمس فيها أي مرونة فقهية .

إنه يقيم صرحاً شبيهاً بحديته بالتخطيط الهندسي ، لا مجال فيه للاستثناءات ، وينتهي به الأمر ليصرح بأن مصر حالة ميؤوس منها ، ومن أيد مرسي وانتخبه أو نزل إلى الشارع معه فهو مرتد .

إن التيارات ليست منفصلة عن بعضها فكلها يؤثر في بعضه ، ومن بين الأسماء التي ستؤثر أيضاً حزب التحرير الذي تأسس في منتصف القرن العشرين ، ومنظومته كانت تحاكي إلى درجة كبيرة ما يطرحه الحزب الشيوعي ، وفي فترة الانقلابات التي شهدتها المنطقة من مصر إلى العراق إلى سوريا ، كانت هذه الفكرة تخيم بشكل هوسي في أفكار الحزب وظل أسيراً لها فترة طويلة .

كما أن جنون المآمرة يدفع هذا الحزب الذي يتفاخر بكونه سياسياً لاعتماد تحليلات مبتذلة ، على هذا النحو انهمك عبد القديم زلوم في كتابه **(كيف هدمت الخلافة)** في تحليلات معتمدة على مذكرات منحولة تدعى **(مذكرات همفر)** ، وأي تحليل سريع لها يظهر أن كاتبها شيعي متوسط الثقافة ، تضج سطورها بهوس المآمرة ، فابن عبد الوهاب يضحي سكيراً عميلاً بريطانياً لهدم الإسلام ، يتمتع بيهودية إلى آخر تلك الرواية الهزيلة التي تعبر عن بلاهة سياسية فذة .

حزب التحرير الذي اعتمد ما يشبه تفصلات الحزب الشيوعي ، من حزب يمثل المسلمين للوصول إلى الخلافة ، وطريق حتمي مرسوم من أيام الرسول ينجع في القرن العشرين لتوحيد أمة المليار تحت قيادة قائد واحد له صلاحيات الدولة كما في **(دستور الخلافة)** الذي أعدوه .

كان كل شيء جاهزاً لكن لم يحدث أي شيء ، في حين أن النبهاني نفسه كتب في كتابه **(التفكير)** أن كل حزب لا يحقق أهدافه خلال 30 عاماً يكون قد انتهى وكان يلمز في الإخوان ، ولكن الأيام لم تسعف حزبه لتضحي كلمته تلك نقداً لحزبه هو **!** .

هذا الحزب حاول أن يتعالى عن الخلافات العقدية ، وإن كان مؤسسة وقع في عدة أشعريات دون وعي منه ، فهو يرفض طريق المتكلمين ، ويسير على خطى الأشعري مثلاً فيما يتعلق بالأسباب .

ولم يكن له منظومة فكرية متسقة ، بل كانت مليئة بالنقص الذي لا يمكن طرده ، إلى أن محاولته لإيجاد نظرية معرفية تعتبر محاولة جديرة بالاهتمام ، مع غياب هذه المحاولات من الأحزاب الإسلامية الأخرى .

إن غياب مفهوم موضوعي للهزيمة والفشل ، تلف الجماعات الإسلامية ، وكان حزب التحرير قد بلغ ذروته في الجمود العقدي بتشدده في مفهوم التبني ، أي على العضو أن يتبنى مواقف الحزب من سياسية إلى فقهية إلى عقدية ونحو هذا .

لقد أخرج الحزب جيلاً من الحفاظ لكلماته ، دون قدرة على نقدها ، وبطبيعة الحال التفكير في جدواها ، ونتائجها .

وهذا يقودنا للحديث عن فصل يتعلق بثنائية التفكير المشتهرة في الجماعات (حلال ، وحرام) .

هناك أمور محرمة لكنها قد تعالج مريضاً !

كما أن جدارة الطب تقاس بالنتائج ، كذلك الأفكار السياسية ، لكن النتائج لا تتحقق دون نظرية ، التيارات الإسلامية في الغالب سيطر على وعيها أن الحلال سيحل المشاكل ، والمحرم يزيدها ، في حين أن المحرم ليس درجة واحدة فهناك محرم لغيره ، وهناك محرم لذاته ، والمحرم لذاته يجوز فعله مع الضرورة ، بخلاف المحرم لغيره يجوز مع الحاجة أو المصلحة ! مثاله كشف العورة للعلاج ، فهذا محرم لغيره أي لذريعة الزنا ، والمحرمات لذاتها تعود في النهاية للمقاصد الخمسة المعروفة .

بقي أن يقال بأن الحلال أوسع من المحرم ، إذن كل خيارات الحلال مطروحة ، وبهذا العموم لا تطرح أي بديل مجرب ، مثلاً حلال أن تغير كل أجزاء السيارة بأي شيء تريد ، لكن واحداً فقط هو الذي ينجح .

الذي ينجح هذه غائبة غياباً شديداً في وعي التيارات الإسلامية ، كيف لا وغياب التأريخ النقدي يلفها جميعاً ، على سبيل المثال لا توجد مراجعة واحدة داخل حزب التحرير ، ولا مراجعة رسمية داخل الإخوان تطرح على العلن ، بل يتم إغفال أخطاء الماضي ، ثم تتحول فيما بعد إلى منجزات ! ، ومحن يتربى عليها الجيل التالي .

أما التيار السلفي فقد واقع فيما يشبه مشيخة الطرق ، فلله طرائق على عدد الخلائق ، وللسلفيين مشايخ ومرجعيات متنافرة وفق هذا ! ، كما أن احترام الشيخ يصل إلى ما يشبه حال الميت بين يدي مغسله ، فالعناوين العريضة لا تسمن ولا تغني من جوع ، تلك المتعلقة بنفي التقليد ، وياليت شعري أي نفي للتقليد هذا الذي ينجع مع شاب تاب أول أمس ، يرجح بين الأئمة الأربعة .

إنهم هدموا صور مجتهدين فحسب ، وأقاموا بدلاً منهم هواة ! ، فذلك يتبع شيخ الحي عنده لأنه أخبره بشيء من بديهيات الإسلام بأن الله يستحق وحده العبادة ، وبالتالي يقلده في أدق مباحث أصول الفقه .

كما أن حالة التشنج التي تجدها في خطابات أمثال "سعيد رسلان" تنتج ظواهر صوتية ، غارقة في لاهوت المآمرة ، وهو يصيح محذراً من الخطر الأخطبوطي لإيران والتشيع والرافضة .

بل بعدد من المتلازمات تعرف مضامين أي حزب ، فيما يمكن تلخيصه في ورقة واحدة لكل حزب ، وتتساوى معرفياً وقتها مع قيادات ومشايخ ! .

على أي حال ، فإن اللاهوت العام ، بالعودة للحلال سيحل مشكلات البشرية غير دقيق في جوانب كثيرة منه ، إذ يفتقد تعيين ما هو الحلال المقصود في كل جزئية معينة ، بدل الكليات الطائرة كحديث النفس .

فقد يكون العلاج في محرم لغيره أو لذاته ، ويكون قد استجيز لضرورة ، أو حاجة ، وكما هي عبارة ابن القيم : " لا واجب مع عجز ، كما لا محرم مع ضرورة ".

إن الانحصار في مفاهيم الحلال والحرام ، تقودنا إلى شيء قديم انتقد على المنطق الكلاسيكي الذي انحصر في الماهيات ، والحدود اللفظية ، ولم يعكس حركة الواقع ، في حين أن الواقع متغير مترابط ، فكم من حرام يلازمه مصلحة تربو على مفسدته ، وكم من حلال في الواقع يجر مفاسد أكبر من المحرم نفسه ، وفي رسالة (**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**) لابن تيمية إلماح مهم جداً لهذا .

إن الحديث عن هذه الثنائية ونقدها ، لا يرد عليه بأنهم يقولون عن أشياء يجوز فعلها للمصلحة ، فكونهم لم يحددوا ما هي المصلحة لا مجال لهم أن يزجوا بأنفسهم وبالناس في معمعة الصراع والتصدر للمشهد السياسي ، ولكن هذا قد حصل .

ويبقى محك الأفكار السياسية كالأفكار الطبية ، التجربة ، بعد أن تمر على النظرية التي تنظمها وتطرحها بشكل متسلسل مفهوم .

إلا أن هناك موقفاً من التجربة ، يعبر عنه بعضهم بقوله "ليس الدين بالتجربة" وهذا خلط بين العبادات والعاديات ، وكم صنف في الطب النبوي ، فهل يقال هذا حكر على ما كان في عصره ، أم يصار إلى ما هو أولى ، وهذا حقيقته تعطيل القياس والحواس .

ثم إن القاعدة الكلية أن التكليف لا يكون بما لا يطاق شرعاً ، بقطع النظر عن قول الأشعرية بتجويزه عقلاً ، فهو يقولون بأنه شرعاً لم يحدث .

والقدرة معيارها التجربة ، على أي حال ، تعليقهم للأمر بالمصلحة يتفق عليه الجميع ، الموافق والمعارض ، لكن يختلفون فيما هي المصلحة ، ودون اعتبار النتائج سيبقى الحقيق بوصف الغباء يكابر بأن فعله مصلحة .

إنه مثل قائد عسكري يأمر بأمر فتباد كتيبته تماماً ، ليخرج قائلاً نالوا الجنة **!** ، هذا محصل المقارنة مع أصحاب الأخدود فيما هو من أمور الفقه ، فيما يحقق الواجب ، لا يدرأ فحسب المفسدة **!.**

والتفريق بين الأمر والنهي يدور عليه الفقه ، وهذا يكاد يغيب تماماً في المشاهد من الممارسات للجماعات الإسلامية ، وسأضرب مثالاً لهذا بالتترس .

وصورة المسألة أن قوماً من الكفار تترسوا بأسرى من المسلمين ، أي جعلوهم دروعاً بشرية ، وغزوا بلداً كبيراً .

لنقل كان معهم 20 أسيراً وفي البلد 100 ألف مسلم ، إن ترك المسلمون الرمي على العدو ، استباحهم العدو هم والأسرى ، وإن رموا أصابوا الأسرى فما العمل ؟

يقول كثير من الفقهاء ونقل بعضهم الاتفاق عليه ، أنهم يرمون الكفار فإن أصابوا المسلمين فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، دفعاً لأكبر المفسدتين بأدناهما ويتمثل ابن تيمية بقول القائل :

وإذا اللبيب بدا له من جسمه *** مرضان مختلفان داوا الأخطرا

لكن في الأحكام السلطانية للماوردي يضع ضابطاً مهماً ، وهو أن هذا في الدفع لا الطلب **!.**

فلوا أن العدو في منطقة بعيدة عن البلدة ، ولم يهاجم المسلمين ، وليس هذا طلبه ، فهل يبادر المسلمون بالهجوم على العدو ؟

إن قيل نعم صار هذا تجويز لقتل مسلم لمصلحة السيطرة على الحصن المعادي ، ولا يجوز ارتكاب محرم لذاته لمصلحة ، بل لضرورة ، والتي تكون في الدفع أو فيما هو من معناه ، أما لمجرد مصلحة السيطرة فذلك لا يجوز .

لكن ابن تيمية يقول للعلماء في هذا قولان ، وأغلب الظن أن من أجازه في الطلب يقيده بأنه طلب من سيقصدون المسلمين ، لتحقق الضرورة ، وإن لم يكن في صورة الدفع ، إلا أنه في معناها ، وبذا تنضبط القاعدة .

إن تعميم التترس أدى لتوسع هائل في الطلب ، وذلك فتح باب قتل المسلم للمصلحة ، ثم توسع بعض المعاصرين من الجماعات الإسلامية وبحثوا هل يجوز قتل الأسير نفسه خوف إفشاء الأسرار ، قال بعضهم نعم ، وكأننا نتحدث عن أخلاقيات نمور التاميل ! وقد كانوا يلبسون قلائد فيها سم ينتحرون فور وقوعهم في الأسر .

فإن كان المسلم في عصر النبوة ، لا يفعل هذا ، وكان تحريم الانتحار معلوماً ، وأسرار النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعظمها ، فكيف بمن دونه ! .

بل إن بعضهم استجاز لنفسه رمي غيره إن وقع في الأسر ، وقد حصل هذا في السعودية فترة تحرك المقرن بعمل مسلح في المملكة .

على أن مسألة التترس ، لا تبقى حبيسة صورتها عند الفقيه ، ولنقلب الصورة في مسألة أخرى ، وهي تقريباً مماثلة لهذه ، وهي مسألة قطع يد السارق في الغزو .

وفي حديث بسر بن أرطأة ، أن اليد لا تقطع في الغزو ، وقد صححه الألباني ، وإن كان في بسر كلام من يحيى بن معين كما في (**الجرح والتعديل**) لابن أبي حاتم .

ولنفرض ضعف الحديث فلا يتهاوى فقهه ، وقد نقل ابن قدامة في (**المغني**) الإجماع على معناه وأقره ابن القيم في (**أعلام الموقعين**) ، ويقصد الإجماع القديم بين الصحابة وإلا فالشافعي خالف في هذا في (**الأم**) .

على أي حال ، فصورة المسألة أن العدو أمام صف المسلمين ، وقد يسرق أمين سر مثلاً ، فيقطعون يده فيفر إلى العدو غضباً وحمية ، وقد يكشف أسراراً خطيرة ، أو يكسر عزيمة الصف فلا يقطع لهذا .

وفقه المسألة أن القطع فعل ، والفعل يسقط وجوبه عند العجز ، ومتى تحققت غلبة الظن لحصول تلك المفسدة ، فإنها في حكم الموجودة ، فلا ينتظر أن تحدث ، وبعدها يقال ولات ساعة مندم .

وهذه أهون من مسألة الترس فتلك وقوع في محرم ، وهنا ترك لواجب ، وفعل المحرم أضيق من ترك الواجب .

فيترك الفعل لتعين المفسدة الملازمة واقعياً له ، وهذا في عصرنا أظهر ، فتجد بلداً كاملاً كالسودان ينشق الجنوب عنه ، حمية ومعاونة من الخارج فينقلب الأمر إلى أعظم مفسدة مما لو ترك كثير مما يجب تحقيقه عليهم .

إنها مثل التترس ، لكن هنا لا يقتل مسلم لم يذنب لإنقاذ مسلمين ، بل يترك مذنب لإنقاذ مسلمين ، وشتان بين الأمرين !

وهذا ما لم يفهمه كثير من الإسلاميين في ممارساتهم وفتاويهم ، فنفروا من الخلق الكثير في عصر العولمة ، والاتصالات ، والمواصلات ، فكسبوا أعداء كانوا كفيلين بسحقهم لتعنت في جزئية صنعت هذا .

إن تعليق الأمر بالمصلحة شغل الفقيه ، لكن تحقيق ما هي المصلحة أمر السياسي ، ويغلب في التيارات أن ما علق لمصلحة فأمره هين ، ليس كالحلال والحرام ، والواقع أن المفسدة قد تكون من أعظم المحرمات ، وتضييع المصلحة في الواقع يجر من المفاسد ما هو من أعظم وأشد المحرمات .

على أي حال ، فلقد طال الحديث عن المصالح ، ولكن ما هو المنهج المتبع لتحقيقها ، هنا تتصارع الأفكار السياسية والتي لا يدرك الكثير عنها كثير من الإسلاميين ، بل ينحصرون في المناهج السياسية البائسة في جماعتهم ، بل لربما يطيرون إلى السيرة الحركية ، وهذا لا بأس به كبحث ما لم يتجاوز حده ، بأن يعتقد بأن أفعال النبي صلى الله عليه واله وسلم في ذلك العصر وكأنها لكل عصر ، بل غاية الأمر أنها مصلحة في عصره ولا يلزم أنها مصلحة في غير عصره .

وقد نبه أحمد شاكر على أهمية بحث ما هو الفيصل بين أفعال الإيالة أي السياسة من النبي صلى الله عليه واله وسلم ، وبين أفعال التشريع ، وهذا مبحث مهم جداً ، وإن تعرض لشيء منه القرافي والعز بن عبد السلام إلا أن شاكر يرى أن المبحث لا يزال جديراً بالدراسة .

إننا في عصر انقلبت فيه كثير من الأمور ، وإن النظر إلى الصعود الرأسمالي ، وتأثير المال يعزز من الاطلاع على تحليلات الرأسمالية في كتابات أهلها وخصومها ، والاستفادة للغاية مثلاً من كتابات كارل ماركس التي يعاد اليوم إليها في تحليل الهزات والنكسات المالية الكبيرة .

إن التحليل الماركسي للاقتصاد وأثره على الجانب السياسي مهم جداً في هذا العصر ، فلا يمكن إغفال صراع الطبقات وحمولة شاحنة من البشر يمتلكون نصف ثروات الكرة الأرضية كما في إحصائية حديثة .

إن الرأسمالية تتوحش ، فلا معنى للانحصار في طرق التحليل ، وكما يقول أهل الأصول فإن تحقيق المناط يدخله أدلة غير مذكورة في أصول الفقه كالتجربة والمشاهدة والعقل ، فلا يمكن إغفال عقول العالمين الذين يأنون من وطأة الرأسمالية ، وهم ينقدونها بحجج باردة ككونهم كفاراً .

وقد لفتني القرضاوي وهو يقول لا مانع من الاستفادة من تحليلات ماركس في كتابه (**ثقافتنا**) ، فيا ليت شعري أين هي تلك الاستفادة أصلاً ؟ والإسلاميون اليوم يدورون في فلك الرأسمالية .

وقبل الحديث عن الإسلاميين والرأسمالية يجدر الحديث عن منهجين بائسين في التعامل مع النصوص الشرعية ، منتشرة بشكل كبير بين التيارات .

بين منهجين ، يصرخ منهج كفى تلفيقاً

عندما تطرح مسائل مثل وجود العبيد في المجتمع الإسلامي الأول ، والإماء والجواري ، وبيعهن وشرائهن والتسري بهن ونحو ذلك يطرح موضوع حساس في نظر كثير من الإسلاميين يحتاج تبريراً عريضاً ، وبعض مراهقي الإلحاد يبحثون الأمر وكأنهم يتعلق بمتمسك متين ، ونقطة ضعف كبيرة عند الخصم **!**.

ويظهر هنا منهجان ، في الردود على من تعلق بمسألة كهذه ، أو قل منهجين في التعامل مع المسألة بقطع النظر عن الرد :

أولاً : منهج يقول العبودية أمر حتمي في كل عصر ، بل هذا العصر فقدنا فيه العبيد للأسف الشديد ، والمرء يحتاج إلى العبد ليخدمه كما يقول أحمد شاكر **!** ، والحويني يتحدث عن الغزوات في هذا العصر التي ستحل الأزمة الاقتصادية ، وبما في ذلك العبيد والإماء **!** .

ثانياً : التأويل بأن يقال لا لم يكن هذا موجوداً ، أو كان لكن لم يقره القرآن والسنة ، ومن أعجب ما سمعت من تأويل أن ملك اليمين ليست الجواري ، بل الاستمناء **!**.

إما أنه في كل عصر ، أو أنه لم يكن ولا في أي عصر **!** .

أو تلفيق بين ذلك وهذا ، بدرجات متفاوتة ، كتحريم استرقاق الأسرى كما يقول النبهاني .

والواقع أن ذلك تم في ذلك العصر ، ولا يمكن في هذا العصر لاختلاف الإحداثيات الواقعية بفعل الرأسمال أساساً .

فعلى سبيل المثال تحرير العبيد كان قد أعلن في الولايات المتحدة بعد حرب بين الشمال الصناعي ، والجنوب الزراعي ، وذلك للحاجة إلى أيد عاملة في المصانع .

ولم يكن زعماء تحرير العبيد ممن يرى أصلاً المساواة بين البشر ، فإبراهيم لنكولن على سبيل المثال كان يرى تفاوت الأبيض والأسود في الحقوق **!**.

لكن تم تحرير العبيد لضرورة العجلة الاقتصادية ، ولم يكن هذا ليتم لولا صعود الرأسمالية ، وإن رفعت فيما بعد كتبرير أو بناء فوقي بتعبير الماركسية ، بأن هذا حق للبشر وتصاغ حوله عدة فلسفات .

ولا يمكن العودة إلى الوراء ببساطة ، بإنهاء المصانع والعودة للصناعة اليدوية فتلك طوباوية حالمة ، إن العبيد تم احتواؤهم في المصانع التي لولاها فإن تحريرهم مطلقاً كطبقة يعني صنع مجرمين ومتشردين في المجتمع دون عمل أو مأوى .

وتذكر هدى شعراوي في (**مذكراتها**) أن النساء كن يبكين إن قيل لهن سنحرركن من العبودية ، وذلك أنهن سيرمين في مجتمع دون قدرة على الرزق فيه ، مما قد يدفعهن للرذيلة والهوان .

إن المطالبة بإعادة عجلة الاقتصاد ، بإعادة العبيد ليست أكثر من مطالبة بتفتيت الأوطان ، فالأفكار التحررية ، والقدرة على التواصل يمكنها أن تصنع جيشاً من المسبيين يحطم السابين ويجعلهم هم الأسرى **!**.

يقول ماركس في كتابه (**الأيدلوجيا الألمانية**) إن القول بتحرير العبيد في المجتمع الإقطاعي ، كالقول بحق الإنسان في ذلك العصر بالحصول على سيارة **!** .

ولكن لم يكن يوجد سيارات أصلاً في ذلك الزمن ، ونفس الشيء لم يكن يمكن تحرير العبيد في ذلك الزمن .

على أي حال تم تحرير العبيد .

ودون منهجية نقدية كتلك التي تطرحها الماركسية في تفهم أسباب التحرير يظل الإسلاميون في حالة من الإحراج والتبرير بين منهجين **!**.

وهذا ينبه على أهمية وجود أداة لتحليل الواقع لا الانحصار في الأحكام التقييمية ، والردود الارتجالية ، دون دراسة للواقع الذي نعيش فيه .

وضروة الاطلاع على المناهج المتنوعة لتحليل الواقع ، واختيار ما صح بالبراهين ، بدل الانحصار في الحديث عن الواجب ، فلا يمكن معرفة الواجب المعين في واقع معين دون معرفة هذا الواقع كما هو ، وإن الانحصار في الحديث عن الواجب يدفع إلى عدم رؤية الواقع كما هو ، بل تخيله بطريقة مثالية ، وبما أن الفكر لا يعرف الفراغ كما يقول هيجل ، فإن النظرة إليه ستكون محكومة بما قيل وسمع وتداوله الناس دون ضمان بأن تلك الرؤية صحيحة .

بل كما يروى عن الشافعي في شأن المقلد بانه كحاطب ليل ، لا يعرف أيحضر حطباً أم تلدغه أفعى ، وقد نص أحمد على أن من شروط المفتي أن يكون بصيراً في أحوال عصره ، وقد أطال ابن عقيل في شرح هذا في كتابه **(الواضح في أصول الفقه)** .

إن هذين المنهجين : الرجوع إلى الوراء دوماً ، أو التنكر للماضي ، ليسا محصورين في مسألة العبيد فحسب ، بل تشمل غير ذلك .

على هذا النحو انهمك بسام جرار في تحديد متى تنتهي دولة إسرائيل بطريقة لا علاقة لها بالأصول ولا الفقه ولا قواعد التفسير ، بل بطريقة تشبه فرقة القبالة اليهودية في تفسير نصوص التوراة المقدسة ، باعتباره رموزاً وإشارات **!**.

إنه يحول سامعيه المخلصين له إلى دراويش يطلبون التحليل بواقعهم بطريقة العرافين والمشعوذين **!**.

ويبدّل علم السياسة بما يشبه الخط بالرمال ، والتنجيم **!** .

إن البؤس المعرفي يدفعهم إلى تعويض ذلك النقص بمخرافات موهومة ، فرجل يريد أن يحلل السياسة من باب الواقع بما يشبه الألغاز **!** بتحويل الآيات إلى معادلات ، ونسبة الصواب فيها كنسبة النجاة في لعبة الروليت الروسية لربما **!** .

إنه يتجاوز وجود علم للسياسة تماماً ، وينحصر في شيء يزعم أنه فيه كل شيء ليس من باب الأحكام القيمية فحسب بل حتى الوصفية **!** .

ويمتد الأمر إلى تعامل بعض من يوصفون بالإسلاميين إلى السنة ، فيقولون كما هي الحجة القديمة عند طوائف وفرق : ما وافق العقل أخذناه وإلا رددناه ، أو بلغة أخرى ما وافق القرآن أخذناه .

فالقرآن دون السنة يمكن أن يتم شحنه بالكثير مما يفترضه العقل من عصر إلى آخر ، كاعتبار الذرة المذكورة في القرآن هي الذرة الاصطلاحية في العصر الحديث المتكونة من نيوترونات وإلكترونات **!** .

إنها قمة المثالية الذاتية ، في بعد صارخ عن الموضوعية ، والتي لا يعجز عنها أي متدين بدين ليخرج بمعتقد تلفيقي .

وأي فرق بين السنة وأي جريدة مبتذلة يومية وقتها ، فما وافق العقل يؤخذ ، وإلا فيرد **!** ، وما الفارق بين كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم حينها وكلام أي كان سواء كان كافراً أو مجنوناً إن قيل يؤخذ منه ما وافق العقل **!**.

هذا التلفيق يساعد أقواماً ليبقوا قانونهم : كل ما يحرجون منه تاريخياً ينفونه ، وإلا يقبلونه بصدر رحب ، ويقولون هذا ثابت عندنا ، علماً أن السند كحال السند ، والمتن لا يرد بمثل هذه التوهمات .

وكم من مسألة يراعى فيها الزمن ، باختلاف العلة ، والعرف ، والمصالح والمفاسد .

وأضرب شيئاً من الأمثلة ، فمثلاً هناك ما يشبه التزمت في التأكيد على بعض المظاهر ، كإعفاء اللحية واللباس العربي ، مما قد يجر على صاحبها شيئاً ثقيلاً .

على أن إعفاء اللحية جاء الأمر به بعد الأمر بمخالفة المشركين ، والقاعدة الأصولية تقول : إن عطف الحكم على وصف مناسب مظنة أن ذلك الوصف علة للحكم ، فتضحي مخالفة المشركين علة مظنونة للأمر بإعفاء اللحية وقد نص على هذا ابن تيمية في **(اقتضاء الصراط المستقيم)** .

فقول القائل اللحية واجبة لأنها بصيغة الأمر : أعفوا اللحى ، يقال صحيح ، ولكنه متعلق بعلة المخالفة ، فهل المخالفة واجبة في كل حال ، يجيب ابن تيمية بأن المخالفة مشروعة عند قوة المسلمين ، أما عند الضعف فلا ، كونها تدل عليهم وتجلب عليهم ما لا يحمد عقباه .

ولا يقال بأن اللحية حق ، فلا تترك لباطل ، فليس الحديث هنا عن تركها بالكلية ، إنما ترك ما يجلب الضرر على المسلم ، ومخالفة المشركين تختلف درجاتها وأحكامها ، فعند الحرب مثلاً تكون عدم المخالفة والتشبه بالمشرك تغرير بالنفس فقد يصيبه مسلم يحسبه من العدو **!** ، وهذا سر إيجاب المخالفة في تلك الحال .

أما عند الضعف ، فقد تكون المخالفة هي تغرير بالنفس من طرف المسلم للكافر ، وهذا يختلف من بلد لآخر وزمان لآخر ، وقد يكون الرجل ملتحياً دون مظاهر شديدة المخالفة فلا تجر عليه ويكسب أجر الندب بموافقة شيء من سنن الفطرة والحديث فيها لا يدل بمجرده على الوجوب .

وقد يتزمت أحدهم في اللحية في مجتمع يرفض توظيف ملتح بصورة الإعفاء الكامل كما ينصره بعض الفقهاء ، فلا يراعي المصالح والمفاسد ويعرض نفسه لمشقة لم تكن موجودة وقت النص ، وتزيد على مشقة التكليف باللحية في ذلك الزمان ، تمتد إلى الرزق ، ولربما المضايقة والمساءلة .

على أي حال فمعرفة هذا من وظيفة الفقه ، بدل صراخ الوعاظ بإيجاب اللحية في دول يزيد فيها عداء المسلمين ، بل تعرض بعضهم للاعتداء ، وذلك الواعظ يفكر بصوته لا برأسه **!**.

كما أن من الأمور الملاحظة أن بعض المظاهر مخالفة للمسلمين لا المشركين ، فتجده سلفياً متحرقاً لنصرة السنة ، وتطبيقها ، ثم لا يلبس العمامة بل غايته التشدد في القميص ، مع أن جعفر الكتاني له رسالة بعنوان : **(الدعامة في أحكام سنة العمامة)** ، لربما ليخالف جماعة التبليغ ، ثم العمامات تختلف من جماعة لجماعة

، فحتى المظاهر التي فيها انتساب إلى السنة أضحت عند بعضهم علتها التميز عن المحيط حتى ولو كان مسلماً .

إن التعامل مع المسائل على أنها واحدة في كل حين لم يكن حكراً على الإسلاميين فحسب ، فكاتب ماركسي وهو حسين مروة ، بنزعة اقتصادية يتعامل مع التراث الإسلامي بل يصل إلى تحليل ما قبل عصر النبوة بطريقة تنزع إلى الاقتصاد ، وهذا تلفيق ، فإن كان العامل الاقتصادي هو الأشد تأثيراً في هذا العصر فلا يلزم أن يكون الأشد في كل عصر ، وقد أجاد صادق جلال العظم برفض هذا حيث قال بأن العصور ما قبل النهضة الأوربية قد يكون العامل الديني هو الأشد تأثيراً فيها من الاقتصاد في هذا العصر ، ولما التقى وفد من الماركسيين الفرنسيين ماركس ، وحللوا الأمور بطريقة ميكانيكية اقتصادية قال ماركس إذن أنا لست ماركسياً ، فحديث النظرية الماركسية يدور في العصر الذي نشأت فيه في الأساس .

وكاستطراد فقد ذكر الأحمري في كتابه (**مذكرات قارئ**) أنه روي عن ماركس أنه لم يكن يؤمن بماركسيته ، وهذا بعد عن الصواب ، فالكلمة قيلت في سياق رفضه تقليده والتعامل مع نظريته بطريقة آلية ، غير واعية .

إن التلفيق يبلغ مداه لما تجد بعض المنتسبين إلى السلف ينصر نظرية داروين ، ومن العجب أنني وجدت بعض من هواهم جهادي سلفي ينصر داروين **!**، ولا حرج عنده أن يطوع النصوص من النظرية والإسلام لهذه القضية .

ومن الكتب البائسة التي صنفت في التلفيق بين الإسلام ونظرية داروين كتاب (**آذان الأنعام**) لعماد محمد بابكر حسن، وشقيقه علاء الدين ، وسلكا طريقاً باطنياً في تفسير النصوص ، وفي نفس الوقت في تفسير النظرية وتأويلها ، فلا نصروا النظرية ولا الإسلام **!** .

ومن ذلك زجهم لآدم كأب للبشر في نظرية داروين اتساقاً مع النصوص القرآنية ، ثم الزج بداروين في القرآن عبر القول بوجود سلالة تسبق آدم **!** ، ويفسرا الشجرة التي نهي آدم عن القرب منها بأنها الجنس **!** .

على أن النظرية نفسها لا تقول بأن هناك فرد أصل لنوع كامل **!** ، بل هناك أصل مشترك لكل الأنواع ، وأن التأثير في النوع يتدرج وليس بطفرة عن طريق فرد واحد كما نص على ذلك داروين في كتابه (**أصل الأنواع**) ، وسيأتي شيء من الحديث عن فلسفة العلم ، تلك التي تغيب عن التخصصات العلمية ، وعن كثير من المثقفين بالاصطلاح السائد .

الإسلاميون والرأسمالية ..

عادة إذا سألت إسلامياً هل أنت مع الاشتراكية أو الرأسمالية ، يقول على عجل لا هذا ولا ذاك ، ولما تسأل التقليدي منهم أي النمط الذي صاغتها أطنان من الخطابات المتكررة في نسق واحد ، ما رأيك بالحضارة الغربية يقول هناك ثقافة وهناك تقنية ، فالثقافة هذه لا نريدها ، إنما نريد التقنية ، وكأن التقنية يمكن أن يتم إنتاجها في ثقافة منفصلة كلياً ولا تلتقي بتاتاً من تلك الثقافة المنتجة **!** .

على أي حال فإن مصطفى محمود كان يبث أمثال هذه الأفكار في العديد من كتاباته ، كما فعل في كتابه **(حوار مع صديقي الملحد)** ، و **(لماذا رفضت الماركسية ؟)** ، وغيرها .

ما الحل ؟ إنه الإسلام ، وتسأل كيف ذلك ، طبعاً بالزكاة ، سنحل مشكلة الفقراء ، وبالملكية سنشجع على العمل وهذا هو الحل الوسطي .

إن هذا الطرح يتجاوز تماماً معضلة الواقع الشاخصة بصلف أمام العقلاء ، وقبل 1000 عام كان الجويني يكتب في **(الغياثي)** بأن الزكاة إذا تعطلت دهراً ، فإن المطالبة بإعادتها فحسب لن يكفي الفقراء ، بل يؤخذ من الأغنياء ما يسد حاجة الفقراء ، ويرى أن دليل هذا عموم القواعد الشرعية ، ثم يتفضل على متعنت بدليل جزئي وهو "الذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم "، فبما أن المحروم موجود يظل في أموال الأغنياء حق معلوم .

وفي **(الموافقات)** للشاطبي يطرح ما يمكن تسميته بالواجب المؤقت ، مثل غني مر على رجل معدم قد يهلك من الجوع ، فهذا يجب عليه إنقاذه ، بقطع النظر هل أخرج الزكاة أم لا **!** .

كل هذا قبل هذا العصر ، ولتصور المسألة يقال التالي :

إن مشكلة الرأسمالية ليست فردية كالصور المذكورة في كتب المتقدمين ، فغالباً ما دار الفقه في الحديث حول الأفراد ، لظروف كثيرة تتعلق بذلك العصر ، فالحديث عن مكلف عن طهارته وصلاته وزكاته وحجه ، فماذا عن أمر قد يختلف فيه النظر باعتبار المجموع ؟

لا شك أن كتب الفقه تكلمت عن هذا أيضاً ، فتتحدث عن الطائفة الممتنعة عن شعائر الإسلام الظاهرة مثلاً ، ولاحظ الحديث هنا عن طوائف يختلف عن أفراد .

فمثلاً الفرد المقدور عليه إن منع الزكاة يجبر عليها ، بخلاف الطائفة الممتنعة التي تقاتل من الإمام للزكاة .

وكل هذه الأمثلة مجرد لفت نظر لمشكلة قد تكون لجماعة ، فكيف إن كانت لطبقة .

إن التفاوت في المال لم يكن لمجرد الجهد والعمل النشيط كما يتخيله بعض من يتعاطون أفيون المثالية ، فاستعمار أمريكا وإبادة سكانها الأصليين ، وعمليات القرصنة والنهب كلها ساهمت في تشكل طبقة رأسمالية متنفذة ، هذا كأساس ، ولا يمنع أن يقفز أفراد من الفقر إلى الغنى المطغي بجهودهم ، إلا أن هذا بعد وجود الطبقة الرأسمالية كطبقة فاعلة في التاريخ .

وفي رواية **(العراب)** لماريو بوزو تصوير جيد لما تحت الغلاف الرأسمالية من تاريخ مرتبط بالجريمة ، والسرقات حتى تضحي عائلات كبرى لها نفوذها على مستوى الدولة ، وأعضاء مجلس الشيوخ .

إن هذه الطبقة بما معها من مال ، تتحكم في مصير المجتمع ، بالسيطرة على أدوات الإنتاج ، خذ مثلاً الأمر في السابق ، كان الرجل يمكن أن يذهب ويحتطب ويبيع الحطب ويعيش بسلام وهناء .

ثم تأتي شركة كاملة تحتكر بيع الحطب ، والدولة تساعدها ، ويمنع على الأفراد الاقتراب من تلك المناطق التي خصصتها الدولة للشركة .

ماذا يعمل ؟ إنه سيضطر أن يعمل أجيراً عند غيره فيما كان متاحاً له سابقاً ببساطة ، مع فارق إتاوة يأخذها أصحاب الشركة على عمله في الحطب ! .

الأمر ليس بهذه السهولة فحسب ، فإن تضحم رأس المال سيحتكر كل الأعمال ، ليضحي الفرد لا يمكنه أن يعمل إلا في الشركات والمصانع الكبرى التي تحتكر العمل .

إنه يجد نفسه مغترباً في المجتمع الذي يتفكك بفعل سيطرة المال والوظائف ليعيش ، وهو محكوم بما تحدده الطبقة المالكة لأدوات الإنتاج من قوت يومه .

إن الرأسمالي يريد أن يأخذ أكبر قدر ممكن ، ولولا نضال العمال في العالم لم تحدد ساعات العمل بـ 8 ساعات يومياً ، وأنا شخصياً شاهدت من يجهد 16 ساعة يومياً ولا يحصل أدنى الأجور المقررة في الدولة !، وليس من عدوه ، بل من ابن بلده ، ففي فلسطين تم تقسم الناس إلى مناطق مختلفة ، مثلاً هوية خضراء لأهل الضفة ، وزرقاء لأهل القدس .

ولا يسمح لابن الضفة الدخول إلى القدس إلا بتصريح ، وإن ناله ستجري عليه قوانين العمل في إسرائيل ، ولكن كثيراً من العمال يرفضون لدواع أمنية وغير أمنية أيضاً ، فما العمل والأجور متدنية في الضفة والبطالة كثيرة ؟

يتم تهريبهم إلى مناطق القدس وعندها يقعون في فخ الرأسماليين الصغار ، ويتم استعبادهم بكل ما في الكلمة من معنى .

رأيت من يفتح سوبر ماركت برأسمال يقدر بأكثر من مليون دولار ، ويعمل فيه عمال بالتهريب ، يتقاضون ما لا يزيد كثيراً عن أجور الضفة بساعات عمل تزيد عن 16 ساعة يومياً ، وينامون في السوبر ماركت فيستفيد الرأسمالي حراسة مصلحته أيضاً بذا ! .

طبعا في الدرر السنية ، تحديد ساعات العمل هذا حكم بغير ما أنزل الله ! .

ولا يمكن لغيرهم أن يتندر بهم لخصومة مع الوهابية ! فالمنظومات الفقهية لا تزال وفق الطرق الكلاسيكية ، وأي طالب شرعي لا يرى الواقع بأدة تحليل نقدية متسقة كالماركسية لا يمكنه إلا أن يقول مثلهم ! فما دام هنا إيجاب وقبول ما المانع من 20 ساعة ! .

إنه يغفل أن الإجاب والقبول هو مجرد ظاهري فحسب ، وإلا في الواقع لا يمكن للعامل إلا أن يعمل ليعيش ! ، إنه إكراه الرأسمال مع رفعهم لشعار الحرية .

إنها حرية الابتزاز والاستغلال ، وبعضهم جاء ليكحلها فأعماها ، فقال : المعروف عرفاً كالمشروط شرطاً ، يعني أنه يفعل هذا ويوافق عليه لأنه أضحى العرف السائد ، وهذا يعني بالتحديد أنه ضد هذه الحقوق لو كان في غير هذا العصر الذي سادت فيه هذه القوانين ، فالعرف كان العمل 16 ساعة ووقتها كان كالمشروط

شرطاً ، ثم مع الكفاح صار 8 ساعات وبعض الدول أقل من هذا فتصل إلى 7 ، وكان برتراند راسل ينصح بتقليصها إلى 4 ! ، المهم إن صاحب المصلحة المذكور كان يبيع قائماً ويصلي قاعداً ، ويسب العلمانيين ، وينتظر الخلافة الراشدة على منهاج النبوة .

ولا يقال هذا شأن فردي ، فالواقع كله أفراد فكم هي الحالات المخالفة لهذا ! ، يطل علينا الإسلاميون هنا بالقول بأن الحل أن نقنع الحاج هذا بأن يعاملهم بالحسنى ، أي أن يتم وعظه وقد يستجيب وقد لا يستجيب ، وكأن الحقوق تستجدى ، وفي افتراض جدلي طائر هذا الحاج اقتنع وأحسن فكم نسبة الطبقة الرأسمالية التي ستفعل .

ما الحل ؟ أن نقنعهم فرداً فرداً إلى يوم القيامة !! أو ننتظر الخليفة المنتظر .. وهذا ما لم يفعله العمال في العالم ، بل كافحوا حتى نالوا شيئاً من حقوقهم في وقت كان رجال الدين يتحدثون فيه عن اكتمال العقد بالإيجاب والقبول !.

إن الإسلامي عادة يتحدث عما يفترض أن يكون ، وينسيه هذا ما هو واقع بحق ! ، فنحن لا نتكلم عن المفترض ، فذلك كقولنا فلان صال على بيتك ، وتقول يفترض أن لا يفعل ، لكنه فعل فماذا نفعل ؟

إن المشكلة ليست فردية ، بل العالم ! ، إن الرأسمال لا يكف عن التوحش والحروب والفتك بهذه الأرض ، ونعرف كم يبح صوت من يتحدثون اليوم عن الاحتباس الحراري مثلاً فهل هذا يقنع الشركات ؟ وكم يتحدث أشخاص عن ضرر التدخين فهل هذا سيغلق شركة مارلبورو مثلاً ! .

إن حلول التصفية والتربية ، لم يصدق في وصفها إلا ما قاله الصوفيون عن مرتبة من مراتب التصوف "السكر" في أمة تحرم المسكرات ! .

إن الإسلامي يتحدث عن ما يفترض بأن لا يكون هناك صراع بين الطبقات ، وأن يحسن الغني إلى الفقير ، مثل الطرح الكنسي في أوربا إلى درجة كبيرة ، لكن الواقع يتحدث عن دول تسمعك للنهاية ، وتفتح صدرها لكل حديث لكن متى تعلق الأمر بمصالحها يتم إعادة تمثيل مجازر التاريخ فيك ! .

وفي الواقع فإن الإسلامي كصورة نمطية سائدة ، لا مشكلة حقيقية بينه وبين الرأسمالية !.

إنه يحمد ربه على كل رزق ساقه الله إليه ، ويوصي الناس بالرضى بالقدر ، والرزق مكتوب ، وعليك بإتقان العمل وهذا تحديداً ما يريده الرأسمالي .

إنه انضباط دون حاجة منه لكاميرات تصور سلوك العمال ، ولا نظام تايلور في المصانع !.

وعلى سيرة ذلك الحاج ، فقد تحدثت مع العمال عن حقهم المهضوم ، فلم يعترض أي عامل يمتلك حساً وعقلاً ، إلا أن رجلاً واحداً تذمر على هذا الكلام ، كان ملتحياً وينادونه بـ "الشيخ" ، وأمر بالصبر والرضا ، فالقناعة كنز لا يفنى .

وكأن القناعة خلقت لأطفال هؤلاء ، لا أبناء الحاج المدللين .

وبطبيعة الحال ساعدني امتلاك هوية زرقاء على تبديل العمل إلى خير منه فلم أعمل معهم سوى 3 أيام ، مما لفتني في تلك الأيام ، أن ابن الحاج المدلل الذي يدرس في مدرسة خاصة ، ومن العمال من عمره في عمر ذلك الفتى لكن ظروف عائلته أجبرته على ترك المدرسة ليوضع تحت رحى طلب الرزق .

هذا الابن في يوم من الأيام تشاجر مع آخر ، فاتصل على الحاج ، فتم استنفار العمال دوني فظرفي كان أفضل منهم كون الإكراه علي أقل ، ووزع عليهم عصياً ليدافعوا عن ابنه ، أو بالأحرى عن رزقهم .

إن هذا الاستعباد لا يراه الإسلاميون النمطيون ، وبعد سنة تقريباً رأيت ذلك المتلحي الذي كان يوصي بالصبر والرضا ، فسألته ماذا يعمل فإذا به قد غير عمله إلى غيره وأخبرني أن السوبر تحطم بموجة الثلج ، وقال انظر كيف أمهله الله ولم يهمله .

إنه انتظار الخلاص الرباني ، الله سيدافع عن المظلوم الظالم لنفسه بأفيونه المتصوف ! ، إنها عبارة أخرى لقول من قال (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون) .

إن هذا الحاج ، ليس نشازاً فالرأسماليون هكذا دأبهم ، ولكن لن ترى هذا ما لم توسع من نظرك ، فإن الرأسمالي يسعى لرشوة عمال بلده برفع أجورهم ، في حين أنه يستثمر في بلد آخر يسحق فيه العمال هناك ! ، ومجرد مثال بعض مصانع التلفاز في بريطانيا تعامل عمالها بحنان ، ليسكتوا عن مصير عمال آخرين في إفريقيا يعيشون دون خط الفقر ، لتحرق الأجهزة التالفة هناك ، وتلوث تلك البلاد ، ثم تسترد المواد المعدنية منها ليتم إعادة تصنيعها مرة أخرى بصورة رتيبة في بريطانيا !.

إن مصالح الرأسمالي واحدة في بلده وبلد غيره ، لكنه يعرف كيف يشتت خصومه ، برشوة بعضهم على حساب بعض ، وإلا فالاثنان لا يعنون له سوى الربح !.

إن هذا جانب واحد من مشكلة الرأسمالية ، وإلا فتمتد إلى مسائل أكبر وأكثر من فلسفات وأيدلوجيات ، يدور إسلاميون في فلكها ، ومن ذلك ما يسمى بـ التنمية البشرية .

في كتاب ستيفن آر كوفي "العادات السبع الأكثر فعالية " ، والتي كتب في مقدمته أن هذا الكتاب وضع لرفع إنتاجية العمال ! دقق على هذا .

على أي حال في الكتاب بعد سرد طويل يقول ما محصله : دع عنك الأفكار السلبية ، أنت لست ابن ظروفك بل قراراتك ، حسن أمرك وعبئ رأسك بالأفكار الإيجابية دوماً ، غير نظرتك سيتغير الواقع .

إن هذا يعزز من الفردية دون وعي بالمسألة الطبقية ، ويصير العامل ينظر إلى كل نكساته على أنها بنت أفكاره ، لا من فعل الرأسمالية ، سيعمل أكثر لينجح أو ليزيد من إنتاج رب عمله .

ولن يلتفت لأي تذمر ممن حوله فتلك أفكار سلبية ، ولن يهتز للبائسين والمسحوقين ، فأولئك أبناء أفكارهم السلبية !.

إنها خلطة أفيونية رائعة ، ثم تجد شيخاً مطلقاً للحيته ، مدرب في التنمية البشرية ، وآخر يدور في فلك أصلح الفرد ثم أصلح الفرد ، ثم أقنع الدول فرداً فرداً ستصبح الأرض جنة الجنان !.

أما المعارك فتشعل من أجل الكفر ، والفسق والفجور ، ويظل البائسون في معاركهم مع أنفسهم ، وإنها لصورة مقززة تلك التي أسفرت عنها داعش مثلاً وهي تهاجم أقواماً بيوتهم من طين تسبي نساءهم ، فكأنهم خلقوا لزيادة السحق للمسحوقين !.

أما الخطابات الإخوانية فهي مع الحريات ، والتي تصب في نهاية المطاف مع حرية رأس المال ، إنهم اليوم حريصون فحسب على منع ربا البنوك ، بإبداله بالتورق والمرابحة ونحو ذلك ولو زاد الربح أضعاف ذلك ،

وكان للقرضاوي شهادة مهمة طالعتها قبل فترة في هذا ، فإنه تذمر من رفع نسبة الربح في البنوك ولا أدري أيحسب أنه يتعامل مع جمعيات خيرية لا دوائر رأسمالية **!؟**

إنها حالة فناء فيما يفترض لا كيف سيعمل الواقع **!**

فكثير من البنوك الرأسمالية أعلنت أنها إسلامية وصارت نسبة ربحها أكبر من تلك الربوية ، في استغلال فاضح للدين كأفيون يغلف الرأسمالية .

وإن الحيل سائدة بصور شرعية ، فرجل يدفعه ظرفه الاجتماعي للاقتراض يحيلونه إلى التورق ، أو المرابحة ، مع أن المقصد عنده وعند البنك لا البيع ولا الشراء ، بل النقد بالنقد .

وحتى على فرض الجواز ، فليس الحديث هنا عن مرابحة إبل في عصر رعوي ، نتحدث عن طبقة يتم تكبيلها بديون للرأسمالي ، لتضحي أداة لتسد دينها الذي يقيدها .

قد يقال ولكن مرسي الرئيس الإخواني في مصر تحدث في يوم العمال ، وترحم على عبد الناصر ، فيقال : ترحم على عبد الناصر صدقت ، ولا يحتاج الأمر إلى عبقرية لإدراك أنهم لخوائهم كانوا يسمعون الجميع ما يحب ، فمع السلفيين : دولة تحكم بالشرع ، ومع غيرهم : دولة مدنية ، ومع العمال مع حقوقهم ، ومع الرأسمال : ضمان الحرية الديمقراطية ، ومع الأقباط لا خلاف عقدي بيننا ، فهذه حكاية المشاريع **!** كالمثل القائل : النعامة لا طير ولا جمل **!**.

إن الخواء النظري فحسب هو الذي يدفع القرضاوي ليقول على منبر الجمعة ، نريد من أمريكا أن تقوم وقفة لله لنصرة سوريا **!**.

والخواء نفسه الذي يجعل من حزب التحرير يعملون – بنظرهم وإلا فالفراغ والقعود لا يوصف بأفضل من حالتهم – لتنصيب فرد له صلاحيات الدولة (نصوا في دستورهم للخلافة على أن صلاحيات الخليفة هي صلاحيات الدولة) .

عن أي قوم نتحدث **!؟** ، إن الإسلاميين لم يتسفيدوا شيئاً كبيراً من التجربة الماركسية الفاشلة بطبيعة الحال ، التي وقعت في تأزم عقدي ، ونفوا إله السماء لينصبوا طغاة الأرض لا شك ، ولكننا نتحدث عن استفادة وليس عن نسخ ولصق لعدد من الأدبيات ، وفي يوم من الأيام قال الماركسيون النظرية مرشدة عمل لا عقيدة جامدة ، فكانوا يطبقون عكس ما يقال .

إننا نتحدث عن التحليل وإعادة النظر فيه كما يجري اليوم من كثيرين في أوروبا كجورج ماغنوس كبير المستشارين الاقتصاديين في بنك يو بي إس للاستثمار الذي عاد إلى كتاب **(رأس المال)** لكارل ماركس ليستصوب تحليله بعد أزمة الرهن العقاري 2007 ، لا الطرق الفاشلة ، ولا ما ينقد منها بدليل .

نرجع إلى موضوع الإسلاميين والرأسمالية ، يقال بأن الإسلامي الذي يعادي الرأسمالية ، يعادي بيع الخمر والدعارة ، ولكنه لا يعادي الرأسمال (الحلال) بنظره ، والتحليل السابق يشمل الرأسمال الذي يسمونه بالحلال ، وعن ما يجر إليه الأرض .

طبعا الإسلاميون يتحدثون في كل شيء ، فبن لادن كان له حديث مرة عن الاحتباس الحراري ، وصار مدعاة للسخرية **!** والرسوم الكاريكاتيرية ، فليس الكلام هنا عما يقال دون اتساق ، بل لا يوجد عن الجماعات أي نظرية في تحليل الرأسمالية لفهمها ونقدها ، كل ما هنالك نقد فقهي عام ، وعند التحقيق ينفتح

هذا الفقه الكلاسيكي غير المنفتح على أي نظرية معاصرة لتحليل الرأسمالية على كل الخيارات ، وإلا ففي المسائل المجردة عن الواقع لا مانع من الإجارة لـ 20 ساعة كما سبق ، ولكن لما ننزل من الخيال إلى الأرض ، سنعلم ماذا يعني هذا !.

في الفقه التقليدي لا يوجد شيء اسمه إصابة عمل ، فرجل جرح نفسه لا يكلف من لم يجرحه بتعويضه ، ولكن مع نظرة تحليلية للواقع كما رأى ماركس فإن هذا العامل يتم استنزافه كخبرة وقدرة داخل المؤسسة الرأسمالية لتحوله إلى عاجز بعد سنوات ، فلا يعرف إلا صنعته ، وإن التعطل من العمل دون تعويض سيكون معناه ملاقاة مصير قد يصل إلى الهلاك أو الجريمة !.

إو بطبيعة الحال ينتظر من المشايخ أن يقنعوا المجتمع بوجوب الزكاة وأنه يستحقها ! بإغفال تام لتأثير العمل داخل المؤسسة الرأسمالية عليه ، ولنر حل الزكاة هنا ، فلنأخذ مثالاً :

رجل عمل في مصنع سيارات مدة 40 سنة .

هذا الرجل بعد هذه الفترة التي استنزفته فيها الشركة عاجز عن منافسة سوق العمل فالشباب المنافسون له يصطفون على الدور للعمل بسعر أقل من حاجته ، فكثير منهم لم يتزوج .

إنه في 40 سنة تم منعه في الواقع لانهماكه في عمله من تعلم أي صنعة أخرى ، وفجأة يصيب رجله بجرح .

في الفقه التقليدي ، يحق لصاحب العمل أن يقول له : أعطاك الله العافية لا نريدك سنبدلك بغيرك ، واذهب وسح في الأرض فرزق الله واسع .

ولا ندفع لك مليماً واحداً عن إصابتك ، معه نقود قليلة ، يأتي الشيخ ويقول له هذه زكاة إلى أن تشفى ، وما أن يتعافى تقطع عنه الزكاة .

ينزل إلى الشارع لا عمل يقبله ، سنه كبير ، العمال الجدد ينافسونه ، لا يعرف مهارة غير عمله الذي استغنت شركته عنه .

ما الحل ؟

له الله !

هذا هو الحل الذي يفكر فيه الإسلاميون عموماً ، أو لا يفكرون أصلاً به تحت تأثير الفكر الوافد فهم لتزمون السكوت عن الإجازات المدفوعة الثمن ، والتعويضات عن إصابة العمل ، وعن التقاعد وغير ذلك مما جاء بعد أن استنفر العالم ، بل قسمه إلى معسكرين فترة من الفترات وكاد يودي بالكرة الأرضية !.

إنهم يتغافلون أن صاحب شركة السيارات يلهو بأمواله ، وهذا الرجل الذي رمي به في دولة يحكمها توحش المنافسة ، لينقضوا عليه بعدها آمرين له بسلوك الطريق الحلال ! .

قد يقال ولكنهم لا يتغافلون عن الرأسمالي ، يقال كلما كبر أصلاً لم يطالوه ، بل كيف سيفعلون وهم يعملون عنده ! ، تخيل إن كان من المنفقين على طباعة كتب لهم ، أو يملك جامعة خاصة تصرف على كثير من مشايخهم .

بالمناسبة داخل التيارات الإسلامية يتغول الرأسماليون ، فتجد منفقاً محسناً يشتري بأمواله من يطبع كتبهم ، أو له موقع في الحزب أو الحركة كونه تبرع بمبلغ مهول لها ، قد لا يساوي قلامة ظفر ملتزم خارج حزبهم ، ولكن للرأسمالي المكانة ولذلك الهوان ، فكيف يقارن الفقير بمن يشبه بنظرهم عثمان بن عفان !.

إن التغافل عن الرأسمالية لا يمكن وقد كانت أفغانستان مثال له ، فأمريكا أعلنت الجهاد ! على الكفرة الملحدين لمنع اقترابهم من نفط الخليج ! .

وزج بشباب في تلك المحرقة ، فيما لم تفعله شعوب غربية رزحت تحت نير الوحش السوفييتي ، حتى لا تعمل بالوكالة في حرب أكبر منها ! .

ومن البلاهة ذلك الانتظار من بعض الشباب لمشايخ يطلون على الفضائيات أن يقولوا كلمة فيها الخلاص بنظرهم ، فدع عنك تأثير كلمة في فضائية !.

يتناسى هؤلاء تلك الأرقام الضخمة في حسابات أولئك النجوم ! إنهم يفرقون بين رجال الأعمال ورجال الدين بمحض اللباس ونوعية الحديث ، وينتظرون من أولئك أن يهاجموا من يدفع لهم أو يسكت على الأقل عما يملكون .

إنها خيالية حالمة ، ولا أتحدث هنا مهاجماً غناء مشايخ إنما عباء من يطالبهم بمهاجمة قناة تدفع لهم ، أو علاقتها جيدة مع من يدفع !.

إن الأحزاب الإسلامية وهي تثبت فشلها مرة تلو المرة ، وخواءها النظري ، دفعت شبابها ليبحث عن شيء غير الذي قيل ويقال ويحكى مراراً ، إنهم يريدون أن يسمعوا شيئاً فكرياً فلسفياً ، شيئاً غير الذي ابتذل مراراً ، إنهم يدفعونهم ليستمعوا إلى المثقف !.

مثقف !

يعيش المثقف على مقهى ريش

محفلط مزفلط كتير الكلام

عديم الممارسة عدو الزحام

بكام كلمة فضية وكام اصطلاح

يفبرك حلول المشاكل قوام

بهذه الكلمات وصف احمد فؤاد نجم المثقف في قصيدته العامية "يعيش أهل بلدي" والتي لحنها وغناها رفيقه شيخ إمام ، ان المثقف العربي الذي تغيرت صورته عبر القرن العشرين مراراً ، فمرة كان بصورة الماركسي الثوري أو الروائي والشاعر ، ومرة بصورة الاسلامي الذي يتحدث باصطلاحات عصرية ويجيب عن اعتراضات المشككين في الاسلام ، إلا أن كلمات نجم تلامس جانباً مهماً في المثقف العربي سادت الى درجة كبيرة وهي انفصاله عن الشارع .

إنه يعبر عن تاملاته الفردية ويعيد صياغة ما اعتنقه بقطع النظر عن رصد ما يحدث في الأحياء الشعبية ، وزوايا البلد وما يثار بين العمال والفلاحين .

إنها تجعله يتحدث بما يريده لا بما هو موجود ، ويظل المثقف الديمقراطي بنظره يتخيل نفسه فترات السبعينات وهو يتحدث عن الحرية والفكر دون اي رؤية واقعية لما يجري ويحدث .

وبما يخص ما يمكن تسميته بالمثقف العلماني فقد كان سلوكه مشيناً مراراً ، ومحافظاً لأبعد حد خصوصاً مع صعود نجم التيارات الدينية التي لم يكد يلمسها ، فظل خطابه طوباوياً بعيداً عن المشاكل الجديدة التي تم افرازها .

في حالة المثقف الإسلامي كما يمكن رصده في احمد سالم وعمرو بسيوني لا يكاد يوجد أي جديد فيما تم طرحه سلفاً من مثقفين ومفكرين قد لا يصنفون حتى على أنهم إسلاميين .

فإعادة إنتاج فوكو الذي تمظهر عربياً قبلهما في كتابات إدوارد سعيد ومحمد اركون مع نقله إلى جوانب جديدة كتحليل السلفية (**ما بعد السلفية**) مثلاً .

وفي المحصلة لا تجد نظرية جديدة بقدر وجود إلحاح على الانفتاح وعدم الانغلاق ، وسياسياً يمكن تصنيفه كخطاب ليبرالي الى درجة ما .

إن مشكلة المثقف العربي أنه منحصر ويصر على الانحصار النخبوي ، كما أنه يعيد الجاهز دوماً فيما يصل المنطقة من أفكار بنقلها إلى مجالات عربية أو إسلامية .

إنهم كمصانع "كوكاكولا" المحلية التي تعد فرعاً لغيرها وتكتب الاغلفة بالعربية لكن المضمون لشركة عالمية .

ولا أتحدث هنا للامتناع عن الاستفادة من تراث البشرية ، وخبرتها ومعرفتها على الصعيد النظري ، إنما عن البلاهة في التقليد ، والاستهلاك دون هضم وفهم للوازم ، فهناك فرق بين صناعة منتج مقلد ، وبين الاستفادة من خبرات ! .

هناك مشكلات كبيرة لا يتم التعرض لها إلا على استحياء وكمنطقة متأخرة عن دول العالم المتقدم يتنازع المثقفين تيارين إساسيين كخط عام ، أولاً : الخط الحداثي ، والآخر : الخط المنحاز إلى الماضي ، كلهم يريد الانتصار إما للجديد أو القديم وبينهما تيارات وفرق .

تزيد فيها هذه النزعة أو تنقص .. وما سوى ذلك ليس ملموساً في الواقع مع تجويز وجود حالات منفردة .

ولما يقال إن المثقف عليه أن يرى الواقع كما هو لا كما يريد فهذه خطوة أولى للتصور ، قبل الأحكام التقييمية التي يفترض أن يطرحها المثقف في توجيه الناس للتغيير .

عند كثير من المثقفين تبرز نزعة التعبير عما تريده الجماهير ، لمجرد إرادتها حتى ولو لم تكن جماهير واعية ، ووظيفة المثقف وقتها هي بث الوعي الملائم وتقويم الاعوجاج والانحرافات في التفكير .

فالجماهير في المنطقة وغيرها تغلب عليها النزعات العاطفية وهي أكثر فيما يخص منطقتنا العربية ، فدور المثقف ليس مجرد التعبير عن الناس بل بث الوعي فيهم ، وإحياء التواضع العقلي "على تعبير بوبر" لتفكر بطرق متسقة وسليمة بدل الإصغاء لكل ناعق وانتظار المخلص عند كل خبر عن زعيم أو قائد .

إن إحياء مبدأ العمل الجماعي لا الفردي وضرورة الانضباط والتعلم ورفع الوعي النظري من أهم وظائف المثقف المناهض للرأسمالية .

إن دور المثقف يبدأ من مناطق عجز الجامعات والمدارس عن تفهيم الناس ما لا يقال في تلك المؤسسات التي لا يخرج منها إلا ما هو سائد ومقبول على صعيد الأفكار ، فالأفكار الثورية في الفلسفة دوماً تاتي من خارج أسوار الجامعة كون ما هو داخلها محافظ لأبعد حد .

إن المثقف لا يمكنه أن يستثني نفسه ورفاقه من النقد ، لضرورة المواكبة والتطور في المواقف وهذا ما لا يكاد يوجد في الدراسات عن المثقفين والمؤثرين في المنطقة .

إن المثقف بمسحة برجوازية وأخلاق ارستقراطية نوعاً ما يتوه مضمون كلامه في التنميقات والتسجيعات والصور الفنية التي لا تعبر عن إطار نظري متسق ، وفي شأن المثقفين الاسلاميين فيتم تغليفهم دائماً بما يحيلهم الى طبقات الاكليريوس في ذهن العامة فيضحون مواهب ربانية لا نتاج عمل وكد وبحث عن الحقائق .

وقد طالعت كتاب (**مذكرات قارئ**) للأحمري فوجدت اطلاعه الواسع لم يصنع أي إطار نظري يدعو اليه ، بقدر ما يشبه التنمية البشرية بالتركيز دوماً على القراءة ، لا منهجية حقيقية استنبطها خلال رحلته النقدية فليس من وظيفة المثقف بيان معلومات عما قرأ ، فتلك مهمة محركات البحث الالكتروني ، إن وظيفته إحياء العقل عبر القراءة بأطر نظرية متسقة تمنع الخرافة في العلم والاستغلال في التعامل اليومي والسياسي كذلك .

إن الحالة الثقافية قد تصل إلى حد الانغلاق المشابه لحديث المرء مع نفسه ، وهم يتحذلقون باصطلاحات قد تعمي عن المعاني ، ولست ضد استعمال مصطلح في مكانه إلا أن التعقيد إلى ما يشبه التحذلق اللغوي عند

كثير من السابقين حتى إن بعض الكتب كتبت بغرض التعمية في العبارة اختصاراً ، أو منعاً لغير المتخصص من مطالعتها ، خاصة في الفرق الباطنية والصوفية التي تشدد على المراتب والمنازل والطبقية في التعلم لأصولها .

إن هذا الأمر يتكرر بلغة اصطلاحية عصرية عند كثير من المثقفين فلا يجعل القارئ يعيش هما أكبر من هم فك رموزه واصطلاحاته التي دونها ، وهو يقرا له ولا يهدم فكرة ولا يبرز أخرى بقدر أنه يستعرض نفسه ليشار إليه بطريقة لاهوتية : أخبرهم بما لا يفهمون سيقولون إنه يقول شيئاً فوق مستوانا المعرفي حقاً إنه مثقف .

إن هم المثقف الحقيقي تجنيب جيل لاحق أخطاء جيل سبق لا تكرار النماذج بطريقة تدفع الى التصفيق له .

إن الجانب الثقافي يتم التعويض عنه في كثير من التيارات الإسلامية بشخصيات لا تفرزها الجماعات ، مثل شخصية "عدنان إبراهيم" الذي يؤثر في كثير من التيارات ، كتعويض عن الفراغ الذي تنتجه جماعاتهم .

إن عدنان لا يوجد عنده منهج متسق على الصعيد الفلسفي والشرعي ، وهذا كافٍ لمعرفة أنه لا يمكن أن يستمر ، فلا يوجد له منهج يمكن توريثه والبناء عليه ، سوى بعض النكت التي يمكن الاستفادة منها ، لكنها بدون منهج تبقى منفصلة عن بعضها وقد تكون تلك مقررة وفق منهج يناقض مسألة أخرى ينصرها هو .

ولو قيل لا يوجد له مسألة انفرد فيها بألمعية على مستوى الفكر والفلسفة وغيرها لم يكن هذا بعيداً ، فضلاً عن التخليطات والمواضع التي تنتقد عليه .

لكنه ظاهرة مهمة تعري التيارات التي تتبجح بالعمل لسنين في الأمة الإسلامية ، إلى غير ذلك من العناوين العريضة كدعايات الشركات ، ثم في الختام أنتجت ما يمكنه أن يقتات على كثير من خطابات هذا الرجل ، إنها تبين إلى أي حالة وصلت إليها الحالة الثقافية ، ولا يعني هذا أنها كانت أفضل ، إلا أنها صورتها تتهافت في عصر الاتصال السهل **!**.

إن الحاجة للمثقف ، هي التي تدفع كثيراً من الإسلاميين إلى ترديد كلمات عبد الوهاب المسيري ، بل لو قيل إن على الصعيد الثقافي يتربع بيجوفتش والمسيري في صياغة المخيلة الإسلامية الثقافية .

إنه بؤس ثقافي فالرجلان لا يكادان يختلفان في عدد كبير من الخطوط الفلسفية العامة ، فهما ثنائيان ، وهي صيغة تعبر عن فلسفة تحاول الجمع بين المثالية والمادية معاً وسوياً في نفس الوقت ، وهي نظرة تلفيقية إلى درجة كبيرة ، بقطع النظر عن الاطلاع الموسوعي المشهود لهما به .

وكتب هؤلاء وأمثالهم هي التي تصوغ ليس فقط المواقف من التيارات والردود عليها ، بل حتى تصورها ، فرجل يتكلم عن الماركسية الهيومانية لأنه قرأ قليلاً للمسيري في الموضوع .

وآخر يتحدث عن العقل والمادة بإعادة ترتيب ما قاله بيجوفتش فحسب ، إنها حضرة صوفية بمصطلحات ثقافية ، وهذه الطريقة تتجدد **!**.

بل إن الساحة الإسلامية أبرزت مثقفاً كعلي طنطاوي يتحدث عن هيجل فهو عنده فيلسوف مادي **!** في كتابه **(الفتاوى)** .

على صعيد المثقف العلماني ، فقد تم إفراز متحذلقين كثر ، خصوصاً المثقف الكلاسيكي المتحذلق عن الحريات ، كاتبة مثل " نوال السعداوي " تعبر عن بؤس فلسفي وسياسي ، إلى حدود الكارثة ، وتمحور حول الحديث عن نفسها ، وفي كتاب لها عن سجنها لمدة أشهر (**مذكراتي في سجن النساء**) كان عندها قدرة هائلة للثرثرة لـ 300 صفحة **!** .

سنجد ماركسياً مثقفاً كجلال العظم يبدع في اتساق منهجي بقطع النظر وافقته أو خالفته في كتاب (**دفاعاً عن المادية والتاريخ**) ، وإبداع نقدي منه في (**النقد الذاتي ما بعد الهزيمة**) ، وملامسة لمواضع مشكلة في كتابه (**نقد الفكر الديني**) ثم حضرة صوفية ساخرة في كلامه عن إبليس **!** وبؤس في التعامل مع أمثال هذه المسائل .

ولا زلت أذكر تلك اللمعة في عيني أحد الدكاترة في الفلسفة الإسلامية عندما ذكرت له جلال العظم ، إنه ملحد **!** ، صحيح ولكن أن يتم هدم بناء فلسفي كامل لأن صاحبه ملحد ، وهذا الأخ المؤمن لا يفيدنا بجملة مفيدة **!**.

وكما أن هناك مهندساً متقناً في الهندسة وهو بعيد عن الدين ، كذلك هناك الفيلسوف .

وإن أي مثقف لا يمكنه تجاوز ما تفرزه الساحة العربية عموماً ، والتنبه على نقص المتسقين داخل منهج معين ، بل أضحى التشتت والتناقض ، والتفلت ، بل حتى التشظي الذي وصلت إليه كثير من الفلسفات في أوربا "موضة" عند كثير من المثقفين العرب ، بل حتى الإسلاميين ، وهم يتحدثون عن فلسفة اللغة ومشاكلها ، بدون اتساق منهجي .

إن الحال بعد ما سمي بالصحوة الإسلامية ، جعلت من تخصصه فلسفة شبه متصوف إن كان ملتحياً ، ويدور في قوالب جامدة لا تعبر عن اتساق بقدر أنها ردود فعل ، تدور في غرض إسكات وإفحام الخصم فحسب ، وشذرات تفتقد الاتساق المنهجي .

وإن المثقف الذي وقف في يوم ينتقد الهزيمة ، ويسميها باسمها ، يفقد اليوم في التيار الإسلامي بشكل شبه تام ، ليبقى الحديث للشعراء وأهل التسجيع ، ولتبقى كل الأحداث انتصارات تتلوها محن وتمحيصات ، وبكل الأحوال لا مساءلة ولا نقد ، فالمثقف يضحي أداة لتثبيت القوالب الجامدة ، فمثلاً بدل تعزيز النظرة الموضوعية يدور الحديث حول الذاتية "حب ، وبغض" ، فذلك يحب سيد قطب ويضرب فيه الأشعار ، ويكثر عنه الاقتباسات وذلك يبغضه ، أما النظرة الموضوعية ، فتكاد تكون تقيمية دينية ، سنة بدعة ، إمام ، شهيد ، مبتدع ضال **!**

في حين أن التقييم في الجانب الفلسفي ، والسياسي ، لا تكاد تظفر منه شيئاً ، وكما نعلم فقد يكون الرجل على السنة لكنه ساذج في الواقع ، فكم من رجل يدعو إمام مسجد حيه ليكون شريكه في مشروع تجاري **!** ، وفي المثل الإنجليزي : فلان صالح لدرجة أنه لا يصلح لشيء **!** ، وفي مقدمة (**صحيح مسلم**) عن يحيى بن سعيد القطان : لم نر في الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث .

المآمرة .. والتبرير

من وراثة تركة الخطاب القومي المتمثل في الناصرية ، إلى الديماغوغية الاشتراكية اليسارية التي سادت منتصف القرن العشرين تدور أغلب الخطابات الإسلامية عندما يجري الحديث عن السياسة ، ودون أي تغير في الصعيد الاقتصادي والسياسي كما يلحظ اوليفيه راوا .

كانت أهم وصفة سحرية لتجاوز النقد ومواجهة الأخطاء المؤامرة والتبرير .. لا يوجد فشل بل مؤامرة كونية لدرجة كبيرة يصلح لها كعنوان : "يحسبون كل صيحة عليهم" !.

لماذا سقط مرسي ؟ المآمرة ، ولماذا اقتتل الأفغان ؟ مؤامرة ، وعلى هذا فقس من التيارات الاخوانية السياسية إلى أشد عنف داعشي .

إنها حالة سخر دريد لحام بنقدها في الخطابات القومية ، في مسرحية "كاسك يا وطن" وهو يقول بأن الأندلس ضاعت بسبب سياسة المستعمر فرق تسد ! .

إن اللاهوت الذي جعل كثيراً من الاسلاميين يفرحون بمرسي كونه ملتح ! ويصلي لدرجة أنك تحسب أن تصورهم لإدارة دولة لا يبتعد عن إمامة مسجد قرية ، إلى مقارنات دينية كسؤال بعضهم ماذا حقق النبي صلى الله عليه وآله وسلم أول 100 يوم في المدينة ، وكأن النبي هو من وعد بتحقيق 64 بنداً في تلك الفترة.

إلى الحد الذي يشكل ظاهرة متكدسة من التبرير ! والتبرير في غياب لتتبع الخطأ الذي يهم أي حركة سياسية.

إن تضخم التبرير يجعل الحالة فاقدة للتقويم تماماً كمجموع لا كأفراد ، وأي نقد يفترض عليه أن يحدد هل الموضوع الذي أمامه قابل للإصلاح أو يفترض أو التبديل الجذري .

والشواهد تدل على انغلاق تام في النماذج المطروحة مما يعجل من سقوطها ، وعدم قدرتها على المواصلة الفاعلة دون استمرار الجهل والأفيون اللاهوتي بطبيعة الحال .

من الامثلة البائسة تنافس في دول عربية ومن بين الشعارات والتسويقات أن فرعاً للاخوان موجود في المقاومة الفلسطينية ، ولا أدري ما العلاقة الفعالة سياسياً لهذا لكن لننظر بشيء من النقد لتجربة "حماس" ، فهي التي قررت خوض الانتخابات التشريعية بعد إعلان رفضها لذلك ، ولا يتوقف الارتجال هنا بل يمتد إلى نقدها المرير للسلطة الفلسطينية على اتفاق أوسلو ، على أن مشعل رئيس مكتبها السياسي أعلن احترام الاتفاقيات الموقعة من السلطة في اتفاق مكة ، وكانت تطلق الصواريخ من قطاع غزة دون أي التزام بمواقف السلطة ولا مراعاتها .

ثم بدأ الاقتتال في غزة ، واستعمال عناصر سلفية في ذلك وهنا تبرز الخطابات التكفيرية وفيما بعد ستتمظهر بحادثة مسجد ابن تيمية.

على أي حال يضحي هناك صواريخ عبثية لا تراعي المصلحة الوطنية ، وأخرى مقاومة ! والمعيار الاساسي هو الانصياع لقرار الحركة .

وتخاض عدة مجازر في غزة توصف باسماء كبيرة كمعركة الفرقان تشبيها ببدر ! .

وكان من شروط أي اتفاق للهدنة أن يشمل القدس والضفة ، في حين أن الواقع استمرار الهدنة بقطع النظر عن القدس والضفة ، وتضحي أغاني المقاومة "من قدسنا الأحرار ... من ضفة الثوار " دون ذكر لغزة ! التي يخرج بعضهم ليقول نعد لمعركة التحرير في خطابات بائسة جداً .

ولا يعني هذا المطالبة بمغامرات ، ولكن بشيء من الاتزان في الخطاب ! .

كان أحد الكتب التي صدرت كتاب مصعب حسن يوسف الذي تنصر وأعلن فيه أنه كان يعمل بالشاباك وهو كتاب "ابن حماس" بعد سفره للولايات المتحدة ، والطريف أن الرجل يقول : إنه قال لاقاربه ذلك ولكن المحسوبية داخل الحركة هي من سترت عليه وفي لقاء للقناة الإسرائيلية الثانية مع عائلته قال أحدهم كان صغيراً لما قال هذا ! .

في حين أن ما قاله مصعب عن قتل من لا ظهر لهم ولا نفوذ في السجون ومنهم أبرياء ، يعرفه أبناء تلك السجون ، الذين شهدوا فترة التسعينيات !.

وبمسحة سريعة تم تجاوز الكتاب بالاسماء التي فيه والتفاصيل المحكية عن المحسوبية !.

انه مؤامرة والسلام .

كذلك يبرز اسم أيمن طه ، وهو متحدث باسم الحركة كان كثيف الحضور الإعلامي ، والذي تمت تصفيته والمعلومات الشحيحة تفيد أنه سرب معلومات للطرف المصري عن أسماء في القسام شاركوا في مهاجمة جنود مصريين على الحدود مما وتر العلاقات المتوترة أصلاً .

إن العبثية قديمة ومن أمثلة ذلك انفجارات جباليا والتي قتلت أكثر من 20 شخصاً ، وتم اتهام إسرائيل بهذا وتورط متحدثهم الرسمي بالكذب "سامي أبو زهري" وهو يقول بأم عيني شاهدت الطائرات تقصف وتم إبعاده فترة عن الإعلام ثم عاد بقوة بعد نسيان الحدث .

وخرج الزهار وريان يتحدثون عن قصف بالطيران ، وأعلن ريان أن الاسلحة في المهرجان تقليد وليست حقيقية ، والواقع أنه خلل داخلي فقد تم استعراض أسلحة حقيقية انفجرت وحصلت محاولات لإرضاء اهالي القتلى والستر على تلك الحادثة .

إن الانتهازية تصل حدوداً فظيعة فقد حصلت عدة اشتباكات مع الجهاد الاسلامي كونهم لم يلتزموا بوقف إطلاق نار وسقط عدد من القتلى والجرحى حتى تم الاتساق على موقف موحد منها ، في وقت كان يعتبر هذا خيانة وعمالة إن فعلته السلطة ، ويصوره مدمنو كتابات قطب على أنه محاربة للإسلام وأهله .

وأي مقارنة بين الخطاب السابق على السلطة بغيره تبين بعد ما بينهما ، فضلاً عن وقوع غزة تحت تنظيم تحول إلى نظام لا يريد الحرب ، ولا السلام بتعبير ناصر اللحام .

إن هذه من أعلى النماذج التي قدمتها التيارات الاسلامية وساعدتها الظروف لتستمر أطول من غيرها .

بطبيعة الحال متوقع تلك الاجوبة الجاهزة بالقول هذا كذب .. ثم مآمرة ثم في أحسن الاحوال أخطاء فردية

وماذا نعمل إذا كانت النماذج أصلاً فردية وارتجالية .

يتم التعامل مع التاريخ داخل هذه التيارات عموماً على أنه تاريخ أفراد سواء من أبطال وعباقرة في صفهم واشرار في صف الخصوم ، في فقدان تام لاي قدرة نقدية او فلسفية لرؤية التاريخ.

فمن الامام البنا إلى الشهيد قطب إلى الإمام القرضاوي ، وعلى هذا فقس الباقي الإمام الزرقاوي وابي عمر وابي بكر كله افراد ، وإن كان تاريخهم يفرط في التمجيد فإن التاريخ النقدي الموضوعي يبحث عن الأخطاء والصور البشرية والمواريث التي يتم تحويرها لتبقى في نفس القالب مع تغيير للأغلفة.

وفي موضوع حماس لا يمكن اغفال تجربة حزب الله في تحليلها ، فقد وصل حد التاثر كبيراً حتى التقليد في لغة الخطاب الى المسرح الاعلامي .

لا أريد الإطالة ..

ولا أريد الإطالة على القارئ وأرهق هذه السطور بالتكرار أو التفريع على موضع وضح بمثال سبق ، ويمكن أن يستخلص مما تقدم :

1 – وجود أخطاء قاتلة تعزز تكرار الفشل على صعيد الممارسة السياسية ، وتنفتح على خيارات متنوعة تصل إلى الانتحار السياسي بالعنف الأهوج ، وإن تجربة إخوان مصر ، تبين أزمة حقيقية فقد بلغوا أعلى مرحلة يمكن أن تصل إليه "حركة إسلامية" بتصورها البرلماني ، كذلك فإن "داعش" التي تسقط بتسارع اليوم تمثل إزمة في التيارات الجهادية بشكل حقيقي ، ودون مراجعة شاملة تشمل المسلمات المشتركة ستكرر نماذج في أحسن الأحوال .

2 – فقدان نظرية على الصعيد المعرفي تعيق أي بناء فلسفي ، وإنها لضرورة ملحة أن يوجد عمل على هذا الأمر ، فهو أهم من تكرار المكرر ، وفيها يتم إغلاق باب الانتهازية ، والشعارات الشعبية الأفيونية .

3 – إعادة قراءة تاريخ القرن العشرين نقدياً ، خصوصاً فيما يتعلق بالحركات الإسلامية .

4 – ضرورة العلم الشرعي ، والاستفادة الجادة من كل ما طرح ، ومن جهود من أبدع في مجال معرفي إسلامي ، مع تجاوز الإشكاليات والمواضع التي يثبت بطلانها ، وعدم التوقف عند هذا حتى يرتبط ببناء فلسفي يعبر عنه .

5 – ضرورة وجود منظومة لتحليل الواقع المستجد ، لا التوقف عند مقررات المتون الفقهية التي كانت في زمن غير هذا ، وفي مشكلة العمال مثال على هذا ، هذه المنظومة تكون لها معاييرها العامة ، فلا تحلل تجربة لتصل إلى أنها فاشلة لأنها علمانية فحسب ، وناجحة إن كانت إسلامية بنفس النتائج .

طبعاً لا أتعرض لتقييم ديني هنا ، ولا منزلة من ذكروا هنا عند الله ، وكما قال بعض أهل الحديث : نتكلم في أقوام لعلهم حطوا رحالهم في الجنة من زمن ، فليس في الحديث هنا تقزيم لدور ، أو قدح في رجل ، إنما التفاتة للأفكار بشيء من النقد ، وذكرت الأسماء عرضاً لمعرفة ما المقصود ، حتى لا يدور الحديث في التعميم العائم .